

# موقف بني حنيفة من الخلافة الإسلامية

## حتى عهد عبد الملك بن مروان

### المقدمة :

بنو حنيفة قبيلة عربية تتفرع من قبائل بكر بن وائل ضمن فرع ربيعة من قبائل عدنان من بني إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وفدت إلى اليمامة من ديارها الأصلية في الحجاز وعالية نجد، واستقلت بمنطقة اليمامة<sup>(١)</sup>، وحافظت على كيانه السياسي المستقل في مواجهة التكتلات السياسية العربية، وخاضت قبيلة بني حنيفة مع أخواتها قبائل بكر ابن وائل معركة ذي قار ضد الفرس وانتصرت عليهم، وكان أول نصر ينتصر فيه العرب على العجم، وشاركت في حرب القادسية والفتوحات الإسلامية مع الصحابة الكرام، وبنو حنيفة قبيلة متحضرة عمل أبناؤها بالزراعة وجعلوا

(١) كان يسكن منطقة اليمامة من العرب البائدة قوم طسم وجديس وتولى قوم جديس قتل بني طسم، وانتهبوا ديارهم، فنجأ رجل من طسم يقال له رياح بن مرة الطسمي، فشحخص إلى حسان ابن تبع الحميري ملك اليمن استعاذ به على جديس، فنصره حسان وأقبل بجموع حمير، وأغار على منازل جديس باليمامة حتى أصبحت أطلالاً دارسة بعد أن خربها الحميريون إلى أن نزلها عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن الدؤل بن حنيفة منتجعاً بأهله، وماله حتى إذا أتى حجراً وكانت تسمى اليمامة فوضع رمحه على الأرض ثم دفع الفرس واحتجر ثلاثين قصراً وثلاثين حديقة وسماها حجراً، ويقدر نزول بني حنيفة اليمامة واتخاذهم لحجر حاضرة وموضعاً ومستقراً بحوالي مئتي سنة قبل البعثة النبوية، المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ١٣٩ - ١٤٠، ابن خيمس: معجم اليمامة،

ج ١ - الرياض، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، ص ٢٩٢.

الدكتورة: سلوى

عبد الخالق

علي أحمد \*

\* ليسانس في التاريخ

- كلية الآداب،

جامعة المنصورة،

١٩٨٤م.

- ماجستير في

التخصص

نفسه - جامعة

القاهرة، ١٩٩٠م.

- دكتوراة في

التاريخ والحضارة

الإسلامية، جامعة

القاهرة، ١٩٩٥م.

- تعمل الآن أستاذاً

مشاركاً بقسم

التاريخ الإسلامي

- كلية التربية

للبنات - الأقسام

الأدبية - جامعة

الأمير سلمان في

الخرج.

من اليمامة منطقة إنتاج زراعي خصوصاً محصولي التمر والقمح لغرض التجارة وكانت تصدر إلى مكة المكرمة والحيرة وبلاد فارس وغيرها من البلدان واتخذت حجر حاضرة لإقليم اليمامة والقاعدة التجارية لها، واليمامة تسمى (ريف مكة أو ريف أهل مكة)، وبطون بني حنيفة تتفرع ثلاثة فروع الفرع الأول بنو الدؤل، والثاني بنو عدي، والثالث بنو عامر، وكان أميرهم عند مجيء الإسلام هوذة بن علي الحنفي الذي كان من مشاهير بني حنيفة الوائلية في الجاهلية والإسلام وسيداً من ساداتهم ومن أشرافهم وشاعر بني حنيفة وخطيبهم وأول من استخدم أبيت اللعن في الشعر، ومن الذين لبسوا التيجان من العرب<sup>(١)</sup>. وفي بداية البعثة النبوية، أرسل رسول الله ﷺ كتاباً إلى الملك هوذة بن علي الحنفي ملك اليمامة يدعوه إلى الإسلام مع سليط بن عمرو العامري فلما قرئ على هوذة الكتاب رد رداً لطيفاً على سليط ثم أنه كتب للنبي ﷺ جواباً قال فيه : ( ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الأمر أتبعك ) وكأنه أراد الشركة في النبوة والخلافة بعد النبي ﷺ وأجاز سليطاً بجائزة وكساه أثواباً من نسج هجر فقدم بكتابه على النبي ﷺ وأخبره بخبره وعندما قرئ الكتاب على النبي ﷺ قال : ( باد وباد ما في يديه )<sup>(٢)</sup>، وبعد وفاة هوذة ابن علي الحنفي تزعم اليمامة الملك ثمامة بن أثال الحنفي<sup>(٣)</sup> وعن إسلامه أنه جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له : ( يا محمد لقد كنت وما وجه أبغض إلي من وجهك ولا دين

(١) قال فيه الأعشى:

لم ير هوذة غير متنب إذا تعمم فوق التاريخ أو وضعاً

له أكائيل بالياقوت فصلها صواغها لا ترى عيباً ولا طبعاً

الخضري. تاريخ الأمم الإسلامية، ج ١ - بيروت، ص ٢٢٠

(٢) ابن خميس . معجم اليمامة، ج ١، الرياض، ص ٢٩٨

(٣) الملك ثمامة بن أثال صحابي جليل وملك اليمامة وسيد من سادات بني حنيفة ومن أشرافهم وكان أول ملب على وجه الأرض يدخل مكة وأول من فرض حصاراً اقتصادياً من أجل نصرة الإسلام، ابن خميس. معجم اليمامة، ج ١، ص ٢٩٨، ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن حنيفة. ابن الأثير : أسد الغابة، ج ١ - لبنان : دار إحياء التراث العربي، ص ٢٤٦ ، يذكر الإمام البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أرسل سرية إلى بلاد نجد فقبضت على ثمامة وأتت به إلى المدينة، صحيح البخاري - دار التراث العربي، ج ٢، ص ٧٨ .

أبغض إلي من دينك ولا بلد أبغض إلي من بلدك ثم لقد أصبحت وما وجه أحب إلي من وجهك ولا دين أحب إلي من دينك ولا بلد أحب إلي من بلدك وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وعندما خرج معتمراً قدم على مكة وسمعتة قريش يتكلم عن محمد ﷺ فقالوا صبأ ثمامة فقال : والله ما صبأت ولكني أسلمت وصدقت محمداً وآمنت به والذي نفس ثمامة بيده لا تأتيكم حبة حنطة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ وانصرف إلى بلده ومنع الميرة عن مكة فجهدت قريش فكتبوا إلى الرسول ﷺ يسألونه بأرحامهم إلا كتب إلى ثمامة ففعل ذلك رسول الله ﷺ وهذا كان دوراً مؤثراً وفاعلاً بالنسبة لليمامة وإنتاجها الاقتصادي<sup>(١)</sup>.

وصار ثمامة عاملاً للرسول ﷺ على حجر اليمامة، وفي عام ٦٣٢م قدم وفد من بني حنيفة ضمن القبائل التي وفدت على الرسول ﷺ عام الوفود وأعلنت إسلامها، وبعد إسلامهم ارتد جزء منهم مع مسيلمة الكذاب (سيد من سادات بني حنيفة) حتى كان يقول قائلهم (كاذب ربيعة خير من صادق مضر)<sup>(٢)</sup> وجزء من بني حنيفة بقي على إسلامه مع الصحابي الجليل وملك اليمامة ثمامة بن أثال الحنفي الذي نصح قومه بالثبات على الإسلام، وقال : «إنه لا يجتمع نبيان بأمر واحد وأن محمداً رسول الله لا نبي بعده ولا نبي يشرك معه»<sup>(٣)</sup>.

وبصفته عاملاً للرسول ﷺ على حجر اليمامة (قامت على أنقاضها اليوم مدينة الرياض)<sup>(٤)</sup> فقد بعث الرسول إليه فرات بن حيان العجلي يأمره بقتال مسيلمة بعد أن بلغه رده وخروجه، وبعد وفاة الرسول ﷺ شهد ثمامة ومن معه مع خالد بن الوليد معركة اليمامة ضد مسيلمة في السنة الثانية عشرة من الهجرة وبعد انتصار خالد بن

(١) ابن خميس . المرجع السابق، ص ٢٨ .

(٢) بريغش. ظاهرة الردة في المجتمع الإسلامي -٠٠ بيروت : مؤسسة الرسالة، ص ٦٢ .

(٣) ابن الأثير . أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١ ص ٢٤٦ .

(٤) حمد الجاسر . مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ -٠٠ الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة، ١٣٨٦هـ، ص ١٤، ومدينة الرياض هي : عاصمة المملكة العربية السعودية، درة المدائن والأمجاد العظيمة، استعادها الملك عبد العزيز - رحمه الله - عام ١٣١٩هـ من آل رشيد وباستعادتها، استعاد ملك آبائه وأجداده، وغير وجه التاريخ في شبه الجزيرة العربية بمسيرته العظيمة في توحيد المملكة.

الوليد رجعت بنو حنيفة إلى الإسلام وكثير منهم اشترك في جيوش الفتوحات .  
وفي عهد الخليفة يزيد بن معاوية<sup>(١)</sup> وقع عليهم ظلم من عامله على البصرة، فأعلنوا الانفصال عنه، وانضموا إلى ثورة عبد الله بن الزبير في الحجاز، ثم انقلبوا عليه هو الآخر وثاروا في البصرة، وانتقلوا إلى بلاد فارس تحت لواء الخوارج الأزارقة وزعيمهم نافع بن الأزرق الحنفي<sup>(٢)</sup>، ومنهم من انتقل إلى اليمامة والبحرين وحضرموت تحت راية الخوارج النجدات، وزعيمهم نجدة بن عامر الحنفي<sup>(٣)</sup>.

واستمرت الحروب بينهم وبين الخلافة الشرعية في العراق إلى أن قتل عبد الله بن الزبير، وانتقل العراق إلى حوزة الدولة الأموية، ووقع عبء مقاومتهم على الحجاج بن يوسف الثقفي عامل الخليفة عبد الملك بن مروان، فسخر موارد العراق تحت امره قائد المهلب بن أبي صفرة الأزدي لمحاربتهم، وقد استمر هذا الأخير على حربهم أكثر من عشرين عاماً. كان التعاون فيها واضحاً بين عبد الملك بن مروان وعامله الحجاج وقائده المهلب ولولا ما أصيب به خوارج بني حنيفة وأتباعهم من آفة الخلاف لكان لهم شأن على المستوى السياسي، هذا الخلاف الذي أدى إلى تمكين الخلافة الأموية من الانتصار عليهم، عام ٧٨هـ / ٦٩٧م<sup>(٤)</sup>.

### اليمامة الموطن الأصلي لبني حنيفة :

كانت اليمامة آنذاك خصبة خضراء كأنها من سهول أوروبا الآن، حيث تميزت بكثرة مياهها ووفرة إنتاجها وغلالاتها التي كانت تغزو أسواق الجزيرة وغيرها، وكانت تمون الحجاز بالذات بطيب الإنتاج ووفرتة، وكانت تهدده بقطع الميرة وقد ذكرنا قصة ثمامة

(١) هو يزيد بن معاوية، وأمه ميسون بنت بحدل. ولد سنة ٢٦هـ وعندما شب في خلافة أبيه أرسله في الجيش الذي غزا القسطنطينية لأول مرة، وعهد له أبوه بالخلافة من بعده، الخصري. تاريخ الأمم، ج ١، ص ٣١٧.

(٢) من أعلام اليمامة من بنو ذهل بن الدؤل بن حنيفة وينسب إليه الأزارقة من الخوارج، ابن خميس . معجم اليمامة، ج ١، ص ٢٩٨.

(٣) من ولد عدي بن حنيفة وهو زعيم الخوارج النجدات، ويذكره ابن خميس باسم نجدة بن عامر الحنفي وأنه الثائر باليمامة وأنه هزم جيش عبد الله بن الزبير، ابن خميس، المرجع السابق، ص ٢٩٨، ٣١٢.

(٤) جورجى زيدان. العرب قبل الإسلام - مصر، ص ٧٩-٨٠، السيد عبد العزيز . تاريخ العرب قبل الإسلام - الإسكندرية: ٢٠٠٠، ص ٦٠، جواد علي . تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٢٥٢-٢٥٥.

ابن أثال، وكيف منع الميرة عن قريش ولم تعد إليهم إلا بأمر الرسول ﷺ وتعاقبت على الإمامة أمم وأجيال منذ العرب البائدة إلى أن سكنتها بنو حنيفة وذلك ما يقدر بقرنين قبل الإسلام، وكان لها النفوذ والعدد والعدة، وبسطوا نفوذهم على أكثر الإمامة، وعمروها وأوجدوا فيها حضارة وعمراناً، وتغلبت دولتهم اسماً وشهرة على من سواهم ممن سكن هذه المنطقة وعمرها <sup>(١)</sup>.

وكان أوسع هذه القبائل نفوذاً، وأكثرها عدداً وأقواها وأشدها (حنيفة) فكانت لها ثلاث قواعد إحداها (جو الخضارم) بالخرج وبها رأس حنيفة وحامل لوائها هوذة بن علي الحنفي الذي كتب إليه النبي ﷺ، كما كتب لكسرى وقيصر فأبى وأعرض في خبر فصلناه في المقدمة والقاعدة الثانية (حجر) - الرياض الآن - وبها بنو الدؤل من حنيفة، وفيهم العدد والعدة، والقاعدة الثالثة (عقرباء) وبها بنو عدي بن حنيفة <sup>(٢)</sup>.

#### أصل بني حنيفة :

هي إحدى بطون بكر بن وائل، فحنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ابن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان وتجتمع مع نسب الرسول محمد ﷺ والقبائل المضرية قريش وتميم وغيرها ثلاثة أجداد الأول عدنان الثاني معد الثالث نزار وأكثر أنسابها في الجاهلية قبائل بكر بن وائل وعنزة وتميم وقريش، وبنو حنيفة هم أبناء عمومة لقبيلة بني شيبان ويلتقيان عند لجيم <sup>(٣)</sup>، وكما تلتقي قبيلة حنيفة مع تغلب في النسب فتغلب بن وائل أخو بكر بن وائل <sup>(٤)</sup>، وهم جميعاً من عرب الشمال العدنانيين، ويرجع الموطن الأصلي لقبيلة بني حنيفة إلى منطقة الإمامة، وقاعدتها حجر <sup>(٥)</sup> وكانت (حجر الإمامة) سوقاً من أكبر وأعظم الأسواق

(١) ابن خميس. معجم الإمامة، ص ٣٨.

(٢) ابن حزم . جمهرة أنساب العرب؛ تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، ٢٠٨ وما بعدها.

(٣) ابن قتيبة . المعارف؛ تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف ص ٩٧، ٩٦.

(٤) ابن خلدون . العبر وديوان المبتدأ والخبر؛ تحقيق شكيب أرسلان، ج ١، ص ٩.

(٥) ظلت حجر قاعدة الإمامة في الجاهلية وعصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين وصدر عصر بني أمية، إلا أن أحد ولادة بني أمية (إبراهيم بن عربي) اتخذ من بلد (العقير) في منتصف وادي حنيفة ممّا فوق (الدرعية) مقراً له مع بقاء حجر على قوتها ومكانتها، حمد الجاسر. مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، ص ٤٢.

في جزيرة العرب، يقدون إليها من سائر أنحاء الجزيرة، يحملون إنتاجهم ومصنوعاتهم وتحفهم، ويعدون لها العدة لمفاخرتهم ومكاثرتهم ومنافرتهم، ويلتقي فيها الشعراء، وتقوم سوق الخطابة ومساجلات الأدب وإقرار فصيح اللغة، وتبدأ هذه السوق من اليوم العاشر من شهر المحرم، وتستمر إلى نهايته ويقد إليها الوافدون من اليمن والخليج العربي والعراق في قوافل محملة بما لديهم وترجع محملة بما يبتاعون من هذه الأسواق، وكان يجري بهذا السوق ما يجري في الأسواق الكبرى مثل سوق عكاظ .

وكانت حرفتهم الأساسية الزراعة والرعي، وقد سلكت قبيلة بني حنيفة في الإمامة مسلك قبيلة عبد القيس في البحرين، فخرج عبيد بن ثعلبة الحنفي متجهاً بأهله وماله يتبع مواقع القطر حتى هجم على الإمامة، فنزل موضعاً يقال له قارات الحبل، وهو من حجر على يوم وليلة، فأقام به أياماً، وأرسل رجلاً يرتاد المكان حتى أتى قاع حجر فرأى ما فيها من النخيل والأرض الخصبة، حيث كانت مدينة حجر عبارة عن مرج منبسطة تسر الناظر خضرته ونضرتة، وكانت تسمى قلب الإمامة الخضراء لخضرتها وخصبها، فعرف أن هذه الأرض لها شأن، فنزلها عبيد الحنفي بعشيرته، وكانت من قبل لقبيلتين من القبائل البائدة هما طسم وجديس<sup>(١)</sup>، واحتجر قصورها وحدائقها وسماها حجراً، وتتابع بنو حنيفة النزول في قرى الإمامة<sup>(٢)</sup>. وكانت قبيلة بني حنيفة من القبائل المتحضرة، إذ المعروف أن اختلاف القبائل إنما هو بقدر اختلاف نحلهم في المعاش، فقد دعتهم ضروريات الحياة التي قوامها الفلاحة والرعي إلى طلب متسع، من الرزق والسعي في الأرض ويقدر نزول بني حنيفة في الإمامة، واتخاذهم لحجر الإمامة حاضرة وموضعاً مستقراً بحوالي مئتي سنة قبل البعثة النبوية<sup>(٣)</sup>.

(١) أول من سكن الإمامة قبيلة هزان الوسطى وهي قبيلة عربية بائدة، فانضم إليها قبيلتا طسم وجديس من قبائل العرب العاربة، ومع مرور الزمن ذابت هزان وبقيت طسم وجديس، لهما النفوذ والسلطة قروناً متعاقبة، وقيل أن نفوذهما كان في القرن السادس قبل الميلاد، ثم قامت بينهما حروب طاحنة تفانوا فيها وبادوا، وقضت عليهما قبائل حمير، السويدي. سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب -٠ بيروت: دار الكتب العلمية، ص ٣٧.

(٢) ياقوت الحموي. معجم البلدان، ج ١ -٠ بيروت: دار صادر، ص ٢٢١، ٢٢٢، ابن خلدون. المقدمة، طبعة دار الشعب، الباب الثاني، ص ١١١ .

(٣) ابن خيس. معجم الإمامة، ج ١، ص ٣٦، ٣٥ .

على خلاف أهل الحضرة الذين يركنون إلى الدعة ويطلبون كماليات الحياة، لذلك كانوا أكثر قسوة في التعامل، وقد فرضت ظروف الحياة على بني حنيفة كعرب يضربون في البادية نوعاً من الشجاعة وصلت إلى درجة القسوة، فهم لا يثقون في غيرهم، وهم دائماً يحملون السلاح، واثقين بأنفسهم، وقد صار لهم البأس خلقاً والشجاعة سجية يرجعون إليها إذا دعاهم داع أو استفزهم صارخ<sup>(١)</sup>، ومن قوة بني حنيفة، ومنعتهم أنهم كانوا يجيرون على الملوك وينفذون رغباتهم<sup>(٢)</sup>، هذا النمط القوي الذي تمثل في بني حنيفة ومثيلاتها<sup>(٣)</sup> بمواصفاته الخاصة على عكس النمط الذي ساد قبائل الحضرة حيث الميل إلى الدعة والانغماس في الترف؛ لأنهم وكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم والحاكم الذي يسوسهم، وقد تمثل ذلك في قبيلتي الأوس والخزرج الذين سكنوا يثرب وأسلموا قيادتهم لليهود الذين سيطروا على اقتصاد يثرب<sup>(٤)</sup>.

المعروف أن العصبية أهم سماتهم تؤكد رابطة النسب التي هي أغلى ما يملكون، لذلك حرصوا على أن تكون رئاستهم في يد رجل من ذوي أرحامهم ليضمنوا بذلك أن لا يتعرضوا لهلكة أو ظلم حيث إن حماية ذوي الرحم طبيعة في البشر<sup>(٥)</sup>، وقد رفض بنو حنيفة أن يكون زعيمهم من غير عصبيتهم وهذا يفسر موقفهم من الدولة الإسلامية وخلفائها الذين سعوا إلى توحيد العرب تحت زعامتهم.

آمن زعماء بني حنيفة بضرورة التحالف مع القبائل المجاورة، وذلك تأكيداً للعصبية

(١) ابن خلدون - نفس المصدر، ص ١١٤.

(٢) أراد الملك النعمان بن المنذر أن يجلي السواقط (من يرد على الإمامة من غير أهلها) فأجار مرارة الحنفي أحد رجال السواقط فسوغه الملك أي أجازته، فقال أوس بن حجر يحفز النعمان عليه:

زعم بن سلمى في مرارة أنه مملئ السواقط دون آل المنذر

وكذلك اشتهروا بحفظهم للجوار، ابن خميس: المرجع السابق، ص ٣٠٠.

(٣) مثل قبائل ربيعة وبني تميم، وبني شيبان، وغيرها من عرب الشمال، وكانوا يشاركون بني حنيفة منطقة الإمامة والبحرين وجنوب هضبة نجد والعراق، السويدي. سبائك الذهب، ص ٦٥ وما بعدها.

(٤) يذكر أن رسول الله ﷺ حينما اجتمع بوفد من الأوس والخزرج يوم بيعة العقبة قبل الهجرة بثلاث سنوات سألهم: من أنتم؟ قالوا: نحن من الأوس والخزرج. قال: موالي يهود؟ قالوا: نعم. الذهبي. تاريخ الإسلام، السيرة النبوية: تحقيق

عبد السلام تدمري - بيروت: دار الكتاب العربي، ص ٢٩٠.

(٥) ابن خلدون. المقدمة، ص ١١٧.

في مواجهة التكتلات التي كانت سائدة في شبه الجزيرة قبل الإسلام، فقد تحالف أبناء ثعلبة بن عكابة مع بني عجل بن لجيم، وعنزة بن أسد بن ربيعة ضد قبيلة بني تميم، وحدثت حروب كثيرة أشهرها يوم الوقيط، وقد أطلق المؤرخون على تحالف بني حنيفة اسم اللهازم<sup>(١)</sup>.

وجدير بالذكر أن قبيلة بني حنيفة لم تلجأ إلى سياسة العداء وكثرة الحروب مع القبائل المجاورة إلا عند الضرورة بعكس أخواتها من القبائل ربيعة مع بني تميم وغيرهم الذين كانوا طرفاً في معظم الحروب التي حدثت في شبه جزيرة العرب<sup>(٢)</sup>.

### موقف بني حنيفة من الخلافة الإسلامية :

أولاً: عهد الرسول ﷺ :

جاهد الرسول في إخضاع القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية، ولما علم برغبة القبائل في المودة أرسل رسله يدعوهم إلى الإسلام، وكان ذلك في بداية العام السابع الهجري، ومن بين القبائل كانت قبيلة بني حنيفة، كما ذكرنا من قبل فاستجاب زعماء بني حنيفة وأرسلوا وفداً في العام العاشر من الهجرة، وقد ضم الوفد جماعة من زعمائها من بينهم مجاعة بن مرارة<sup>(٣)</sup>، وكان سيداً في بني حنيفة مطاع الكلمة، ومسيلمة بن حبيب الحنفي<sup>(٤)</sup>، والرحال بن عنفة والتقى الوفد برسول

(١) السويدي . سبائك الذهب، ٤٥١، محمد أبو الفضل إبراهيم . أيام العرب في الجاهلية مكتبة عيسى الحلبي، سنة ١٩٦١م، ص ١٧٠، واللهازم هم قبيلة من بكر ربيعة كانت تؤلف نصف قبيلة بكر بن وائل، وقبائل اللهازم هي : عجل، وعنزة، وقيس ابن ثعلبة، وتيم اللات وهم الأساس في قبيلة اللهازم، ابن المبرد . الكامل في التاريخ والأدب -٠ بيروت، ج ١، ص ٢١٠، وقال الشاعر جرير:

وراض يحكم الحي بكر بن وائل إذا كان في الزحلين أو في اللهازم

محمد الصاوي . شرح ديوان جرير، ج ١ -٠ بيروت : دار الأندلس، ص ٥٥٧ .

(٢) البلاذري . فتوح البلدان -٠ بيروت : مكتبة الهلال، ص ٩٣ .

(٣) مجاعة بن مرارة، وكان بليغاً حكيماً من رؤساء قومه في الإمامة وإحدى بناته زوجة الصحابي الجليل خالد ابن الوليد رضي الله عنه، وكان هذا الرجل ضمن وفد بني حنيفة عند رسول الله وأسلم، واقتطعه الرسول أرضاً وله أخبار في الردة مع خالد بن الوليد. البلاذري. فتوح البلدان -٠ بيروت : مكتبة الهلال، ١٩٨٣ م، ص ٩٣ .

(٤) هو مسيلمة بن ثمامة بن حبيب بن الحارث بن عبد الله بن عدي بن حنيفة ويكنى أبا ثمامة، ابن حزم. جمهرة أنساب العرب -٠ مصر : دار المعارف، ١٩٦٢م، ص ٢١٠، يقول الزركلي : مسيلمة كان شيخاً هرمياً يقال إنه تجاوز المئة عام



الله ﷺ فأحسن وفادتهم وأكرمهم وأعطاهم وأقطعهم قطائع وأجزل<sup>(١)</sup>، على الرغم من تأكيد بعض المصادر على حدوث اللقاء، فمنهم من ذكر أن مسيلمة اجتمع برسول الله ﷺ ثم عاد إلى اليمامة وتنبأ<sup>(٢)</sup>، ومنهم من أورد حديثاً دار بينه وبين رسول الله ﷺ بعد ذلك، مؤداه أن يخلي مسيلمة الأمر لرسول الله ﷺ على أن ينتقل إليه بعد وفاة الرسول ﷺ ورفض الرسول ما عرضه عليه<sup>(٣)</sup>، وثالث يقول اختلف في دخوله على رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>، ونحن نقطع بيقين الرواية التي تنفي دخوله على رسول الله استناداً إلى ورود الخبر عن رواية ابن إسحق على لسان شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة وهو الأقرب إلى الصواب<sup>(٥)</sup> وأن مسيلمة أرسل إلى رسول الله ﷺ يطلب إليه أن يشركه في الأمر كما فعل هوزة بن علي الحنفي من قبل، ويبدو أن مسيلمة تدبر الأمر مع الرجال بن عنفة الذي أسهم بقوة في حركة الردة، فقد شهد هذا الرجل أمام جموع بني حنيفة أن مسيلمة تفاوض مع رسول الله ﷺ، وأنه أشركه معه في الأمر، وشجع مسيلمة على أن يكتب رسول الله ﷺ في أواخر السنة العاشرة من الهجرة، فكتب مسيلمة إلى رسول الله ﷺ يعلمه أنه مشترك معه في النبوة، ويطلب إليه أن يترك له نصف الأرض ولقریش نصفها<sup>(٦)</sup>.

فأجابه الرسول ﷺ: «بأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»<sup>(٧)</sup>. والسلام على من اتبع الهدى (ولقبه بالكذاب)<sup>(٨)</sup>، وبدأ مسيلمة يفرض سيطرته على بني

من العمر، وكان يلقب برحمن اليمامة، ولقبه الرسول بالكذاب، الزركلي. الأعلام - بيروت، ١٩٨٤ م، ج ٧، ص ٢٢٦.

(١) الطبري. تاريخ الطبري، طبعة دار المعارف ١٩٧٠ م؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج ٣، ص ١٢٨، ١٢٧، ابن خميس. معجم اليمامة، ج ١، ص ٢٩٩.

(٢) ابن الأثير. الكامل في التاريخ - بيروت: دار الكتب العلمية، ج ٢، ص ١٦٦.

(٣) البلاذري. نفس المصدر، ص ٩٣.

(٤) اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي، ج ٢ - بيروت: دار صادر، ص ٨٠.

(٥) ابن عبد البر. الدرر في اختصار المغازي والسير: تحقيق شوقي ضيف - دار المعارف ص ٢٥٤.

(٦) الطبري. تاريخ الطبري، ج ٣، ص ١٢٧.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ٣٨، ابن كثير. البداية والنهاية، ج ٥، ص ٤٩ - ٥٠.

(٨) الرواية منقولة عن نعيم بن مسعود الأشجعي أحد أصحاب رسول الله، الطبري. تاريخ الطبري، ج ٣، ص ١٤٦.

حنيفة بدعوى العصية، وقد راجت دعوته، واستعان مسيلمة على تأكيد أهدافه برجال، موثوق في رأيهم لدى بني حنيفة، منهم محكم بن الطفيل من بني ثعلبة، وتولى قيادة ميمنة جيش مسيلمة والرحال بن عنفة، الذي جعله مستشاراً له حتى أصبح هو المحرك الأول لردة بني حنيفة<sup>(١)</sup> وقد ساعده على ذلك قوة حجة الرحال بن عنفة الحنفي وكان هذا الرجل قد هاجر إلى النبي ﷺ وتفق في الدين، وقرأ القرآن، ووثق فيه الرسول ﷺ وأرسله معلماً لأهل اليمامة، وكان أعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة<sup>(٢)</sup>، كما ساعد على نشر دعوة مسيلمة اعتقاد أنصاره في وجود قدرات خارقة له، فقد غلب عليه الميل إلى خداع الناس<sup>(٣)</sup>، ومضى في غيه حيث ادعى النبوة وأنه أوحى إليه، كما أنه وضع عن أتباعه بعض فروض الصلاة، وغيرها من الخزعبلات والخرافات<sup>(٤)</sup>.

#### ثانياً : علاقة بني حنيفة بالخلافة الراشدة .

توقع بنو حنيفة ظهور فراغ سياسي بعد وفاة الرسول ﷺ وما يتولد عن ذلك من مشكلات حول اختيار خليفة للمسلمين، وما تبعه من انشغال الدولة الجديدة بتأديب عرب الشام المنتصرين<sup>(٥)</sup>.

وبدأ الاستعداد لمقاومة الخلافة الإسلامية إذا حاولت القضاء على ثورة بني حنيفة،

(١) كحاله . معجم قبائل العرب، ج ١ - بيروت : مؤسسة الرسالة، ص ٣١٣ .

(٢) ابن الأثير . الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٢٠، ٢١٩ .

(٣) وكان يأتي بأمور سحرية، وصاحب شعوذة، فيقال أنه أول من أدخل البيضة في القارورة، وأول من وصل جناح المقصوص من الطير حتى أن بعض شعراء بني حنيفة رثاه بعد مقتله بأبيات من الشعر ذكر فيها قدرته الخارقة وتمكنه من السحر:

المعارف: تحقيق ثروت عكاشة - القاهرة : دار المعارف، ص ٤٠٥ .

(٤) أورد الطبري في تاريخه أن مسيلمة قال لأتباعه فيما يقول مضاهاة للقرآن «لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة

تسمى، من بين صفاق وحشا». تاريخ الطبري، ج ٢، ص ١٢٨ .

ذكر ابن قتيبة أن بعض شعراء بني حنيفة رثاه قائلاً :

لهضي عليك أبا ثمامة لهضي على ركني اليمامة

كم آية لك فيهم كالشمس تطلع من غمامة

(٥) أنفذ الخليفة أبو بكر جيشاً إليهم يقوده أسامة بن زيد يضم أهل المدينة ورجالاً من القبائل المجاورة، الطبري . تاريخ

الطبري، ج ٢، ص ٢٢٥ .

وحدث تحالف بين مسيلمة الحنفي وسجاح التميمية<sup>(١)</sup>، التي تنبأت بعد وفاة الرسول ﷺ وتبعها بنو تميم وبنو تغلب، وعبرت الحدود من بلاد الجزيرة لاحتلال اليمامة وضمها إلى دعوتها، فاستطاع مسيلمة دفع خطرهما، واتفق معها على أن يتحدا في مواجهة الخلافة الإسلامية، والراصد لبنود الاتفاق يدرك أنه كان تحالفاً سياسياً، فمسيلمة يريد أن يتقوى بأكبر قبيلتين من قبائل العرب هما بنو تميم وبنو تغلب، ورصد لتنفيذ الاتفاق نصف غلات اليمامة يدفعها لبني تميم وإلغاء فرضين من فروض الصلاة اليومية، وتعد هذه أول مرة يتم فيها التحالف بين فئات من بني حنيفة وبني تميم في مواجهة الخلافة الإسلامية، إلا أن واقع الأمر يدل على أن مسيلمة اتفق مع سجاح من أجل أن يدفع خطرهما حتى لا يقع بين عدوين، ويدل على ذلك أن سجاح لم تبق في اليمامة، فغادرت إلى بلاد الجزيرة بعد أن تركت جماعة عند مسيلمة للإشراف على تنفيذ ما تم الاتفاق عليه<sup>(٢)</sup>، استقل مسيلمة ببني حنيفة وفصل اليمامة عن الدولة الإسلامية، ومنع إرسال الصدقة، وادعى النبوة، وتحالف مع بني تميم وتغلب، وبذلك أعلن انضمامه إلى حركة الردة التي انتشرت في أنحاء متفرقة من شبه جزيرة العرب<sup>(٣)</sup>.

بدأت المواجهة المسلحة بين الخلافة والمرتدين من بني حنيفة بعد شهور قليلة من وفاة الرسول ﷺ، وأراد بنو حنيفة تحقيق حلمهم السياسي في استعادة مركزهم بين القبائل كما كان في الماضي، وإنهاء التحالف بينهم وبين قريش واعتقدوا أن مسيلمة الحنفي قادر على تحقيق ذلك الحلم وهذا هو الباعث السياسي لثورة المرتدين من بني حنيفة، فقد ادعى مسيلمة الزعامة على أنها حق شرعي له، وأعلن إنهاء التبعية لقريش، والانفصال عن هيكل الدولة الإسلامية التي جاهد الرسول ﷺ في تكوينه.

ثبت بعض رجال من قبيلة بني حنيفة فلم تجتمع كلها على العداء للخلافة الإسلامية، ففي الوقت الذي قاد مسيلمة الحنفي فريقاً منها وحارب الدولة، أكد فريق آخر مدى

(١) هي سجاح بنت الحارث بن سويد التميمية، وكانت هي ورهطها وأخوالها من تغلب اجتمعت مع مسيلمة وقال لها هل لك أن أتزوجك وأكل بقومي وقومك العرب، فأجابته إلى طلبه، ابن الأثير . الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٣٥٤.

(٢) ابن حزم . جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٢٨٧ . الطبري . المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٧٣.

(٣) الطبري . نفسه، ج ٣، ص ٢٧٥، حسن إبراهيم حسن . تاريخ الإسلام السياسي، ج ١، ص ١٧٤.

الالتزام بالعهد الذي قطعه مع رسول الله ﷺ، فهذا ثمامة بن أثال الحنفي الذي كان ضمن وفد بني حنيفة يثبت على إسلامه، ولما خرج مسيلمة ودعاه للانضمام إليه رفض، وخير أهله بين البقاء معه أو الانضمام إلى المرتدين، فاختاروا البقاء معه<sup>(١)</sup>.

وقاد ثمامة الجناح المعتدل من بني حنيفة، ولما استفحل أمر الردة أرسل ثمامة إلى الخليفة أبي بكر يعلمه بأمر مسيلمة، ويؤكد على ثبات مبدئه، ثم خرج ثمامة برجاله وانضم إلى الجيش الذي قاده العلاء بن الحضرمي لحرب المرتدين في منطقة البحرين<sup>(٢)</sup>. وبلغ بنو حنيفة حداً كبيراً في القتال لدرجة أدخلت القلق في نفس الخليفة، فأرسل إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه رجلاً من الأنصار يأمره بالإمعان في قتالهم، وصبر المسلمون وصدقوا حتى تحقق لهم النصر في أشرس معركة خاضها المسلمون ضد المرتدين<sup>(٣)</sup>.

حيث بادر الخليفة أبو بكر رضي الله عنه بإرسال حملتين إلى بلاد اليمامة الأولى تحت قيادة عكرمة بن أبي جهل والثانية قادها شرحبيل بن حسنة، فانهزمت الحملة الأولى أمام المرتدين<sup>(٤)</sup>، فأجرى الخليفة تعديلاً في القيادة، فصرف عكرمة إلى المرتدين في عمان ومهرة، وضم شرحبيل إلى قوة عسكرية جديدة تحت قيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه<sup>(٥)</sup> أخرج المرتدون من بني حنيفة مجاعة بن مرارة في أربعين رجلاً في مهمة لاستطلاع الأمر، فقبض خالد بن الوليد رضي الله عنه عليه واتخذة دليلاً بعد أن

(١) الطبري. المصدر السابق، ج٣، ص ٢٧٥، حسن إبراهيم حسن. تاريخ الإسلام السياسي، ج١، ص ١٧٤.

(٢) الثابتون على الإسلام أيام فتن الردة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ودورهم في إخمادها. الواقدي.

كتاب الردة - الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ، ص ٥٠.

(٣) ابن خميس. معجم اليمامة، ج١، ص ٣٩، البخاري. صحيح البخاري - دار التراث العربي، ج٣، ص ٧٩، ابن كثير

الدمشقي. البداية والنهاية - بيروت، ١٩٦٦م، ص ٣٠٦، وما بعدها.

(٤) عجل عكرمة بمحاربة أهل اليمامة، حتى ينال شرف الانتصار عليهم فهزموه وكتب إلى أبي بكر بخبر هزيمته، الطبري.

تاريخ الطبري، ج٢، ص ٢٤٣.

(٥) وذلك لمساعدة حذيفة بن اليمان وعرفجة بن هرثمة في حرب أهل عمان ثم التوجه إلى مهرة في بلاد اليمن، ابن

الجوزي. المنتظم - بيروت: دار الكتب العلمية، ج٤، ص ٨٥، ٨٦، ويذكر ابن خميس أنه أرسل ثلاثة جيوش آخرها بقيادة

خالد بن الوليد. معجم اليمامة، ص ٣٩، ٤٠.

قتل أصحابه، وكان مسيلمة قد استعد للقاء المسلمين في جيش يتكون من أربعين ألف رجل ومعه مستشاراه الرحال بن عنفة، ومحكم بن الطفيل<sup>(١)</sup>. فنهض بعض الرجال للقيام بقتل زعماء بني حنيفة، كما قام خطباء المسلمين يحرضون على القتال<sup>(٢)</sup>.

وانتهت الجولة الأولى في المعركة بمقتل الرحال ومحكم، وقد برع بنو حنيفة في القتال، وساعدهم على ذلك أنهم يقاتلون على أرضهم، وقد واجه خالد بن الوليد رضي الله عنه صعوبة شديدة في هزيمة بني حنيفة ومن معهم، خاصة وأن المناخ في أوله كان سجالاً عنيفاً لم ينته إلا بقتل مسيلمة الكذاب، وخاصة بعد أن تمكن المسلمون من فتح الحصن المعروف بالحديقة التي لجأوا إليها، فكشفوا المسلمين، وكادت معركة اليمامة تنتهي لصالحهم لولا أن المسلمين أدركوا خطورة الموقف لو تم لصالح بني حنيفة، وكان الذي دل المسلمين على مسيلمة هو مجاعة الحنفي ولم يكن مسلماً، بل أراد أن يحمي قومه من القتل ونساء قبيلته من السبي، وقد وقع خالد رضي الله عنه مع مجاعة هذا الصلح الذي بموجبه انتهت الحرب بين الطرفين<sup>(٣)</sup>.

وانتهت الحرب بمقتل أكثر من سبعة آلاف من الجيش الحنفي، أما عن جيش المسلمين فقد اختلفت الروايات حول عدد القتلى، وإن كان أصدقها ما ذكره الطبري من أنهم ألف ومئتا رجل، لأنه ذكر الخبر على لسان الخليفة<sup>(٤)</sup>.

وبعد قتال مرير قتل فيه من الصحابة رضي الله عنهم جمع كبير منهم سبعون من

---

(١) البلاذري . فتوح البلدان، ص ٩٤ ، بريغش . ظاهرة الردة، ص ١٠٨.

(٢) يذكر ابن الجوزي أن ثابت بن قيس بن شماس خطب الناس قائلاً : يا معشر المسلمين : بئس ما عودتكم أنفسكم، ثم قال: اللهم أني أبرأ إليك مما فعل هؤلاء - يعني المرتدين - واعتذر إليك مما فعل هؤلاء - يعني المسلمين - وقاتل حتى استشهد . المنتظم، ج ٤، ص ٨١.

(٣) كان مجاعة الحنفي قد عمل مكيدة عسكرية على خالد بن الوليد رضي الله عنه، فبعد انتهاء يوم عقرباء وقتل مسيلمة الذي قتل معه من بني حنيفة أكثر من سبعة آلاف فأراد مجاعة أن يوهم المسلمين أن حصونهم مليئة بالمقاتلين حتى يجهلهم على وقف القتال وبالفعل انطلت الحيلة عليهم ووقع الصلح، البلاذري. فتوح البلدان، ص ٩٤.

(٤) ذكر الطبري أن الخليفة أرسل خطاباً إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه حينما علم أنه أراد الزواج من ابنة مجاعة بن مرارة الحنفي قال فيه : لعمرى يا ابن أم خالد، إنك لفارغ، تتكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومئتي رجل من المسلمين لم يجف بعد. تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣٠٠.

حفظة القرآن، وفي النهاية هزم المرتدون من بني حنيفة وقتل كذا بها<sup>(١)</sup>، وقد عبروا عن ندمهم واعترفوا للخليفة بأن مسيلمة الحنفي غرر بهم، وأن سنة الله مضت فيهم<sup>(٢)</sup>، وقد اكتشف خالد رضي الله عنه، عندما فتح الحصون بعد أن كتب عهد الصلح لمجاعة ابن مرارة الحنفي، أنه لا يوجد بها سوى النساء والصبيان والضعفاء<sup>(٣)</sup>، والتزم مجاعة بأن تؤدي بنو حنيفة ما عليها بالذهب والفضة، وأن تلقي السلاح، وتسلم للخلافة ربع السبي، وجدد بنو حنيفة البيعة للإسلام، وتبرأوا مما فعلوه، فقبل منهم خالد بن الوليد رضي الله عنه ذلك<sup>(٤)</sup>.

قام خالد بن الوليد رضي الله عنه بعد فراغه من حرب المرتدين من بني حنيفة لمحاربة مرتدي بكر بن وائل في البحرين، وقد أمره أبوبكر رضي الله عنه بأن يصطحب معه فقط مسلمي بني حنيفة الذين لم يرتدوا، وعلى رأسهم الصحابي ثمامة بن أثال، وبالفعل توجه خالد إلى جواتا في البحرين وواجه الهازم وهزمهم وقتل زعيمهم المعروف بالحطم واسمه ضبيعة بن قيس وكان على رأس المرتدين من بكر، وقد غنم الصحابي ثمامة بن أثال قلنسوة الحطم هذا وشاهده بعض أبناء بكر وهو يرتديها فقتلوه انتقاماً لزعيمهم الحطم<sup>(٥)</sup>.

### آثار ظاهرة الردة في المجتمع الإسلامي:

إن كل مجتمع من المجتمعات لا يمكن أن يثبت ويستمر في الحياة ما لم يستطع تجاوز المحن التي يمر بها، ويفوز بالتجارب القاسية التي تعترضه • فالمحن والأحداث والنكبات العظام، والمفاجآت المروعة هي محك صحيح لصلابة المجتمع، وسلامة بنائه، وصحة الطريق، وصلاحيته للحياة.

(١) ابن خيمس . معجم اليمامة، ج ١، ص ٤٠.

(٢) الطبري. المصدر السابق، ج ٣، ٣٠١.

(٣) ابن الأثير . الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٢٣ .

(٤) حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن . النظم الإسلامية، ص ٣٠-٣٢، أرنولد . الدعوة إلى الإسلام؛ ترجمة حسن

إبراهيم حسن، ص ١٨٠-١٨١ •

(5) <http://forum.sh3bwah.maktoob.com/tl64758.html>

أما المجتمعات الضعيفة، فإنها لا تلبث في مجال التجربة سوى ساعات، بل تتكشف كل عوراتها وضعفها، وينفطر عقدتها، وتنهار معنوياتها وتتفرق قواها، وتعجز عن التجمع والصمود مرة أخرى، وظاهرة الردة علامة مميزة في تاريخ الإسلام وهي ظاهرة اجتماعية، برزت في مسيرة المجتمع التاريخية<sup>(١)</sup>، ثم أعطت صورة عن هذا المجتمع، وحين نتفحصها، بأحداثها ومقوماتها ونتائجها، والعوامل الداخلية التي ساهمت في تكوينها نرى أنها ظاهرة خطيرة إذا عجز المجتمع عن احتوائها، أو لم يكن قادراً على مواجهتها .

وخلاصة القول : إن المجتمع الإسلامي عاد أقوى مما كان، وازداد صلابة وتماسكاً وعمقاً، والأهم من ذلك فقد عملت المحنة على جلاء حقيقة الإيمان، وتوضيح معنى الإسلام، وفهم المرتدون أن الإسلام والإيمان متلازمان، وليس نطقاً باللسان، أو مبايعة عابرة، أو معاهدة سياسية، لقد عاد من عاد إلى الإسلام منهم، وهو مطمئن بعد أن حسن إسلامه، وتبينت له حقائق المنهج الإلهي بتكامله وشموله، ورجعوا لله تائبين، يفتحون قلوبهم للإيمان، وكان من هؤلاء من أبلى أحسن بلاء في معارك الإسلام العظيمة (القادسية والجسر واليرموك وغيرها) .

### **بنو حنيفة يدخلون اللهازم من بكر:**

انضم الحنفزيون إلى بني عجل بن لجيم، وأصبحوا من اللهازم<sup>(٢)</sup>؛ لأن عجل هو أخو حنيفة بن لجيم، ودخل معهم حلفاءهم بنو مازن بن جدي بن مالك بن صعب بن علي، فصاروا جميعاً في اللهازم، وبما أن بني حنيفة أصبحت في عجل من اللهازم، فقد أصبحت قبائل ربيعة ثلاثة أجذام بدلاً من أربعة، وهم تغلب ومن فيهم، وبكر ومن فيهم، وعبد القيس ومن فيهم \* غير بن عنز في اليمن، ومن المعلوم أنه بعد حروب الردة ووفاة الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، استقرت أوضاع العرب وعم الإسلام قبائل بكر ابن وائل وعبد القيس<sup>(٣)</sup> .

(١) الواقدي . كتاب الردة - الرياض : دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ، ص ٥٠ .

(٢) اللهازم سبق توضيح معناها ص ٩ من هذا البحث، عبد العزيز الأحيدب. بنو حنيفة، ص ٧٠ .

(٣) البلاذري . أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٢٣٦ .

انتهى الأمر ببني حنيفة إلى الانصهار في الدولة الإسلامية، وقد أدى أبنائها دوراً مهماً في المجال السياسي، فمن المواقف الإيجابية اشتراكهم في فتح العراق والشام، ومنها مشاركة بكر بن وائل في يوم القادسية وظهور المثنى بن الحارثة الشيباني، ويوم عين التمر، وفتح الموصل وتكريت بقيادة الأفلح العنزي، وابن حيان العجلي وغيرهم، وعندما بدأت الفتنة تطل على المسلمين، شاركوا في موقعة الجمل ضد الحركة التي قادها الصحابيَّان الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما، فقد ثبت انضمامهم كفرع من بكر بن وائل، وسائر قبيلة ربيعة وقبيلة عبد القيس، وكان يحمل رأيهم رجل يدعى وعلة بن ممدوح الذهلي<sup>(١)</sup>، وكذلك اشتراكهم في الخلاف الذي نشب بين الصحابيَّين علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وانحازت بكر ومعها حنيفة بطبيعة الحال إلى جانب علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي امتدحهم بشعره<sup>(٢)</sup>، وقتل منهم جماعة ضمن ثمان مئة رجل قتلوا من بكر بن وائل<sup>(٣)</sup>، بالإضافة إلى رجال من بني حنيفة تولوا مناصب في الدولة الإسلامية مثل أبي مريم صبح المحترش الذي برز مع مسيلمة يوم اليمامة وقيل إنه قتل زيد بن الخطاب، ثم آمنه عمر ابن الخطاب وولاه قضاء البصرة<sup>(٤)</sup>.

(١) الطبري . تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٠٤ وما بعدها .

(٢) وقال: الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حينما خذله قومه وقعدوا عن نصرته أن يلوذ بركن اليمامة، كناية عن نصرة أهلها فقال: ولو أني عصبت قومي إلى ركن اليمامة أو شمام ولكنني إذا أبرمت أمراً منيت بخلف آراء الطغام  
ابن حزم . جمهرة أنساب العرب: تحقيق عبد السلام هارون - مصر: دار المعارف، ١٣٨٢هـ، ص ٢٧١، وقال الفرزدق مشيداً بشجاعة بني حنيفة:

لعمري لقد سلت حنيفة سلة سيوفا أبت يوم الوغى أن تعيرا  
ولولا سيوف من حنيفة جردت ببرقان أمسى كاهل الدين أزورا

ابن خميس . معجم اليمامة، ج ١، ص ٣٠١ .

(٣) ابن الأعمش الكوفي . كتاب الفتوح - بيروت: دار الفكر العربي للنشر والطباعة، ١٩٩٢م، ج ١، ص ١٣٥ .

(٤) ابن حزم . الجمهرة، ج ٢، ص ٣١١، الكندي . الولاة والقضاة - بيروت، ١٩٠٨م، ص ٤٧-٤٨، ابن قتيبة . الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٠٠-١٠٣، ابن قتيبة . عيون الأخبار، ج ٢ - القاهرة، ١٩٢٣م، ص ٢١ . ابن عبد ربه . العقد الفريد، ج ٣، ص ٢٨٨ .



### مساهمة بني حنيفة وقبائل بكر في حركة الخوارج:

كان لبني حنيفة وقبائل بكر المساهمة الواضحة في الحركة المعروفة تاريخياً باسم الخوارج وقد ذكرنا أن هذه القبائل انحازت إلى جانب الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إلا أن التوقيع على الصلح مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، لم يرض كثيراً من أتباعه الذين عارضوه على هذا، بل وصل الأمر إلى تكفيره رضي الله عنه، فأول الخارجين رجالان من عنزة، أصرا على القتال ورفضوا الصلح قائلين: (الحكم لله) ثم تجمع عدد كبير من الخوارج في النهروان بين (إيران والعراق) حالياً حيث هزمهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن أبرز الخوارج من بني حنيفة كان نافع بن الأزرق صاحب الأهواز<sup>(١)</sup> الذي لمع في دراسة الفقه لدرجة أنه طلب العلم من الصحابي الجليل عبد الله بن العباس رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>. وتلميذه نجدة بن عامر الحنفي ومعهم من شيبان أبو طالوت وأبو فديك ولهم أخبار كثيرة مشهورة<sup>(٣)</sup>.

### موقف بني حنيفة من الخلافة الإسلامية في عهد بني أمية:

ظلت اليمامة تحكم من الخلفاء الراشدين ثم من بعدهم الأمويين ويرسل لها ولاة من قبلهم، وأحياناً يعين الوالي من أهلها ولكنها لا تحظى بعناية الخلفاء، لبعدها عن مركز الخلافة ولكثرة الفتن والحروب القبلية بها، وكان مجيء معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه إلى الحكم صدمة للشيعة والخوارج، وعندما ورث يزيد الخلافة عن أبيه اعتقد أنه صاحب الحق في الحكم، واتجه نحو الاستبداد والعنف في مقاومة معارضيه، وليس هناك

(١) هو أبو رشد نافع بن الأزرق بن قيس بن نهار أحد بني الدؤل بن حنيفة، و تمتع بمواهب فقهية عظيمة فقد درس نافع الحنفي القرآن وحوى معانيه، ولمع في دراسة الفقه الإسلامي إلى أن وصل إلى درجة الاجتهاد، هذا بالإضافة إلى براعته في الخطابة، وقد فاق زعماء الحركة الخارجة فقهاً وعلماً لدرجة أنه طلب العلم من الصحابي عبد الله بن العباس، فكان ينتجع إليه ويسأله عن مسائل من القرآن الكريم، ابن حزم. الجمهرة، ج ٣، ص ٣١١.

(٢) فاق ابن عباس الناس في خصال العلم مثل الفقه والتفسير والفرائض، فكان يجلس للناس يوماً للفقه ويوماً للتأويل، ويوماً للشعر، ويوماً لذكر أيام العرب وما جلس إليه عالم إلا خضع له، ومات سنة ٦٨هـ، ابن الجوزي. المنتظم، ج ٦، ص ٧٢، ٦٣، وابن الأثير. أسد الغابة، ج ٣، ص ١٩٣.

(٣) المبرد. الكامل في اللغة والأدب - بيروت: مكتبة المعارف، ج ٢، ص ١٦٤. المسعودي. مروج الذهب، ج ٢، ص ١١٧، السيوطي. تاريخ الخلفاء، ص ١٢٧، الماوردي. الأحكام السلطانية - القاهرة، ١٢٩٨هـ، ص ١٤٣.

أدل من موقفه من الحسين بن علي رضي الله عنه الذي استشهد في كربلاء سنة ٦١ هـ / ٦٨٠ م، واستباحة مدينة الرسول ﷺ سنة ٦٣ هـ / ٦٨٢ م وبلغ العنف ذروته على يد عبيد الله بن زياد عامله على العراق حينما ضيق على الخوارج وأودعهم السجن لمجرد الظنة، وقتلهم لمجرد التهمة<sup>(١)</sup>، وقد بلغ عدد من قتلهم زياد ابن أبيه وابنه عبيد الله ثلاثة عشر ألفاً، وحبس عبيد الله أربعة آلاف وربما قتل معظمهم<sup>(٢)</sup>.

وكان من أجنحة المعارضة السياسية لبني أمية، نافع بن الأزرق أحد زعماء الخوارج كما ذكرنا ونجدة بن عامر الحنفي، اللذان يجمعهما نسب واحد في بني حنيفة ويعدان ممن بلغا علواً في الدين، ويقرآن القرآن، وينكران الجور، فسجنهما عبيد الله بن زياد لهذه الأسباب، وهذا يدل على أن بني حنيفة نهضت ضمن بعض القبائل للوقوف في وجه بني أمية الذين حولوا الخلافة الدينية إلى ملك، دنيوي وراثي<sup>(٣)</sup>، واستأثروا بالمال، وإن هذا الطرح يقودنا إلى القول بأن الخوارج قبائل متعددة ومجموعات متفرقة قد تجمعها رابطة قبلية وقد يجمعهما فكر واحد كانوا حزباً ثورياً يعتصمون بالتقوى، ولم ينشأوا عن عصبية عربية، ورفضوا الاعتراف بالدولة التي ليس لها مبرر إلا وجودها في الواقع<sup>(٤)</sup>.

ويؤكد ذلك أنه لما وردت جنود الشام إلى مكة بقيادة الحصين بن نمير السكوني في ٢٦ من المحرم سنة ٦٤ هـ وقد بايع أهلها وأهل الحجاز لعبد الله بن الزبير في عهد يزيد بن معاوية انضم الخوارج من بني حنيفة وتولوا الدفاع عن بيت الله الحرام وكان يتقدمهم، نجدة بن عامر الحنفي ونافع بن الأزرق الحنفي الذي سبق أن تحدثنا عن فقهه وعلمه ومصابرته على العلم، وهذه المواهب أهله لأن يقود الحركة الخارجية في مواجهة الخلافة الإسلامية في فترة من أخطر فترات العصر الأموي وهي الفترة التي

(١) ذكر المبرد أن عبيد الله يحبس الخوارج تارة ويقتلهم تارة، وأكثر من ذلك يقتلهم، ولا يتغافل عن أحد منهم، الكامل في

اللغة والأدب، ج ٢، ص ١٩١ .

(٢) يذكر الطبري أن ابن زياد صرح يوماً بقوله: «فما عملت بعد كلمة الإخلاص عملاً هو أقرب إلى الله عندي من قتل من قتل من الخوارج» ويقول: ياليتني كنت أخرجت أهل السجن، فضربت أعناقهم. تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٥٢٢، ابن طباطبا.

الفخري - القاهرة، ١٩٢٧ م، ص ٣٩، سيدة إسماعيل الكاشف. الوليد بن عبد الملك - القاهرة، ٢٠٠٥ م، ص ٣١ .

(3) Robenson , The Islamic world , Cambridge 1996 : p . 18

(٤) يوليوس فلهوزن . الخوارج والشيعة - الكويت : وكالة المطبوعات، ٤١-٤٢ .

أعقبت وفاة الخليفة يزيد بن معاوية، وهذا يؤكد عمق الفارق بين فكر نافع بن الأزرق الحنفي، وفكر مسيلمة الحنفي الذي استند في ثورته على العصبية القبلية، والجدل السطحي، وبعض أعمال الشعوذة والسحر .

عقب وفاة يزيد بن معاوية، حدث فراغ سياسي، فقد هرب واليه عبيد الله بن زياد إلى الشام خوفاً من بطش المعارضة، فتطلعت المعارضة من بني حنيفة إلى من يخلصهم من الحكم الأموي، فانطلقوا تحت قيادة نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن الزبير في مكة، وقد وضع من خطة نافع أنه يريد استثمار ثورة ابن الزبير لصالحه، ويتكئ عليها في حربه ضد بني أمية . وذلك عندما ألقى خطاباً على أصحابه ذكر فيه أن الله فرض عليهم الجهاد، ودعاهم إلى ترك الظلم، والانحياز إلى الناصر بمكة ليجاهدوا معه العدو المشترك<sup>(١)</sup>، ولم تذكر المصادر المدة التي قضاها نافع وأصحابه مع ابن الزبير، إلا أنه حارب معه ضد أهل الشام، وقد استغرق ذلك عدة أشهر من سنة ٦٤هـ / ٦٨٣ م، ولم يفارقوه إلا بعد عودة جيش الشام<sup>(٢)</sup>.

كان من رأى بني حنيفة الاستعانة بابن الزبير على إقامة حكومة مختارة على أمل أن يتم ذلك بعد مساعدته وأهل الحجاز في صد هجوم بني أمية، وامتحان ابن الزبير، فإن كان على رأيهم تابعوه<sup>(٣)</sup>، وكانت مصلحة ابن الزبير في وجودهم معه لذلك أظهر تعاطفه معهم إلى أن انتهت الحرب<sup>(٤)</sup>، ولما كاشفوه لم يجدوا لديه أفكاراً مشجعة على التعاون معهم فانصرفوا عنه<sup>(٥)</sup>.

(١) الطبري . تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٥٦٤ .

(٢) جيش الشام هو الجيش الذي أرسله يزيد بن معاوية لقتال أهل المدينة وهزيمتهم في موقعة الحرة سنة ٦٢هـ، ثم توجه لمحاربة ابن الزبير، فلما مات يزيد حاول الحصين بن نمير قائد الجيش الاتفاق مع ابن الزبير، ولكنه رفض فعاد إلى الشام، ابن الأثير . الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٤٦٧ - ٤٦٨ .

(٣) المبرد . الكامل في اللغة، ج ٢، ص ٢٠٢ .

(٤) قال ابن الزبير : لو شايعتني الترك والديلم على قتال أهل الشام لشايعتهم، المبرد . الكامل، ج ٢، ص ٢٠٧ .

(٥) ابن خياط . تاريخ خليفة، ص ٢٥٣، الأزرق . أخبار مكة، ط، ص ١٠٨، وصف معاوية عبد الله بن الزبير بقوله لابنه «وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب، فإن أمكنته فرصة وثب، فذاك عبد الله بن الزبير .....»، ابن خلكان . وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٢٤١ .

بدأ الخوارج صراعهم المسلح ضد الخلافة، بعد عودتهم من الحجاز فانقسموا إلى قسمين، أحدهم توجه إلى البصرة تحت قيادة نافع بن الأزرق الحنفي وبدأ في توجيه نشاطه السياسي منها، وانطلق الفريق الآخر إلى منطقة اليمامة - الموطن الأصلي لبني حنيفة، وبذلك فتح الخوارج جبهتين في مواجهة الخلافة الإسلامية، وكان عامل البصرة قد انفصل عن الدولة الأموية مؤقتاً وانضم إلى ثورة عبد الله بن الزبير وذلك بعد وفاة يزيد بن معاوية<sup>(١)</sup>.

لم يتأصل العنف في هذه الثورة في أول الأمر، حيث كان نافع يخطب في أصحابه ويحضهم على الخروج سلمياً على رأي أبي بلال مرداس بن أدية<sup>(٢)</sup>، ثم آلت قناعته بالتشدد نتيجة لنصائح أحد مجتهد الخوارج يدعى أبا الوازع الراسبي الذي نصحه بالتصدي لجور السلطان، والقسوة على معارضيتهم، فتمكن العنف من نفسه ومال إلى التشدد مع المخالفين، ومنذ ذلك الوقت أصبحت فرقة الخوارج الأزارقة التي تمثل عدداً كبيراً من الخوارج أميل الفرق الخارجية إلى التشدد سواء مع الخلافة أو العامة<sup>(٣)</sup>.

لم تكن قبيلة بني حنيفة هي كل من حوته حركة الخوارج الأزارقة عند خروجهم وإن انعقدت لها القيادة، فقد صاحبها قبائل بني تميم بفروعها بني يربوع ومنهم أبناء الماحوز الذين تولوا قيادة الأزارقة في مرحلة تالية، وبنو مرة ومنهم عبد الله بن أباض، وعبد الله بن الصفار، وهذان الرجلان أسسا اثنتين من أكبر الفرق الخارجية هما الخوارج الإباضية والخوارج الصفرية<sup>(٤)</sup>.

وتبعها قوم من بني يشكر وبعض بطون تميم، وبذلك يقود الخوارج من بني حنيفة الفئة المناوئة للمرة الثانية ضد الخلافة الإسلامية، وأيضاً للمرة الثانية تتبعها قبيلة

(١) الطبري . تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٠٧ .

(٢) هو أحد أبرز زعماء الخوارج، قتل أخوه عروة بن أدية على يد عبيد الله بن زياد، فخرج أبو بلال هرباً من سلطان بني أمية سنة ٦٠ هـ، فهاجمه جيش أموي يقوده أسلم بن زرعة، فهزمهم الخوارج في معركة أسك، بمنطقة الأهواز، فأرسل يزيد بن معاوية جيشاً آخر قتل أبا بلال وأصحابه، الطبري . تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٤٧١ .

(٣) المبرد . الكامل في اللغة، ج ٢، ص ٢٠٣ .

(٤) ابن حزم . جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٢٢٥ .

بني تميم كما تبعتها في حروب الردة من قبل<sup>(١)</sup> وبلغ تأثير بني حنيفة على هذه الثورة الخارجية لدرجة أنها اشتقت اسم الأزارقة من اسم زعيمها نافع بن الأزرق الحنفي .  
سار نافع بن الأزرق بالخوارج من بني حنيفة ومن تبعهم إلى منطقة الأهواز<sup>(٢)</sup> معلناً العصيان ضد الخلافة، وسيطر على المنطقة، وبالغ في التشدد مع أهلها، فأمر بقتل مخالفيه من الرجال والأطفال، وكان هذا هو السبب في وقوع الخلاف بينه وبين بعض أتباعه الذين خالفوه الرأي حول التشدد، فانسحب عبد الله بن أباض، وعبد الله بن الصفار التميميان ولم يخرجوا معه<sup>(٣)</sup> إلى أن تهيأت لهما الظروف، فخرج ابن الصفار بأتباعه إلى بلاد الجزيرة بالعراق، وخرج عبد الله بن أباض إلى منطقة عمان<sup>(٤)</sup> .

على كل حال يمكن القول بأن نافع بن الأزرق نجح في تحويل الحركة الخارجية إلى واقع تاريخي، فأصبحت حركة منظمة تتحرك بموجب خطة وكيان سياسي مستقل، وأصبح الخوارج حزباً معارضاً للخلافة الأموية، فقد شعر نافع بضرورة الخروج بحجة أن أهل البصرة أماتوا السنة، وأحيوا البدعة، وخرج بأصحابه إلى منطقة المربد على نهر الأساورة<sup>(٥)</sup>، وبذلك سيطر الخوارج على مدخل البصرة من ناحية فارس وكانت سيطرة سياسية واقتصادية، وأرسل نافع عمالاً جمعوا خراج المنطقة حتى ضاق الأمر على أهل البصرة مع حرمانهم من تجارتهم، وقد نتج عن ذلك ظهور موجة من العنف السياسي، فالمعروف أن البصرة قد اضطرب أمرها بعد رحيل عبيد الله بن زياد إلى بلاد الشام

(١) ذكرنا في أثناء الحديث عن ثورة بني حنيفة وردتها أن سجاح التميمية تنبأت وانضمت ببني تميم إلى معسكر مسلمة الحنفي، ابن طباطبا . الفخري في الآداب السلطانية -٠ بيروت : دار صادر، ص ٧٤-٧٥ .

(٢) الأهواز : بلاد تقع ما بين البصرة غرباً، وبلاد فارس شرقاً، تتكون من عشرة أقاليم، ياقوت . معجم البلدان، ج ١، ٢٨٥ .

(٣) يذكر محمود إسماعيل أن من أسباب إخفاق حركات الخوارج وفشل ثورتهم، تقشي الخلافات داخل جماعتهم، وهي في أغلبها خلافات في المبدأ والرأي، وأدى ذلك إلى انقسامهم إلى أكثر من عشرين فرقة، الخوارج في بلاد المغرب -٠ الدار البيضاء : دار الثقافة، ١٩٨٠م، ص ٢٦-٢٧ .

(٤) ابن الأثير . الكامل، ج ٢، ص ٤٩٢ .

(٥) المربد : من ضواحي البصرة على بعد ثلاثة أميال، يصلها بالبصرة نهر الأساورة في خطة بني تميم، ياقوت . معجم البلدان، ج ٥، ص ٩٨-٣١٧ .

على الرغم من نهوض بعض زعماء القبائل واختيار عبد الله بن الحارث بن نوفل والياً عليها، إلا أنه لم يحظ بإجماع الناس على ولايته<sup>(١)</sup>.

لم يستطع أهل البصرة صبراً على ما جرى على أيدي الخوارج من بني حنيفة وغيرها من القبائل، فخرج الأزدي تحت قيادة زعيمهم مسعود بن عمرو العتكي لمحاربة الخوارج، وخرجت بنو تميم هي الأخرى، وانتهت الحرب القبلية بانتصار الخوارج من بني حنيفة ومقتل زعيم الأزدي<sup>(٢)</sup>، وقد سحب ذلك صخب بين الأزدي وبنو تميم إلى أن تمكن الأحنف بن قيس التميمي من توحيد الصف في مواجهة خوارج بني حنيفة، وعهد أهل البصرة بأمر القيادة إلى والي البصرة من قبل عبد الله بن الزبير.

لقد أحدثت فرقة الخوارج الأزارقة تصدعاً سياسياً، في العراق وبلاد فارس في مواجهة الخلافة الإسلامية فترة من الزمن استغرقت عهد الخلفاء يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ/ ٦٨٠-٦٨٤م)، وعبد الله بن الزبير حتى سنة (٧٣هـ / ٦٩٢م)، ثم عهد عبد الملك بن مروان إلى أن تم القضاء عليها في منتصف سنة (٧٨هـ / ٦٩٧م) وقد بنى الخوارج الأزارقة مبادئهم الدينية على أساس أن الإيمان المجرد ليس له قيمة إن لم يدعمه العمل، ولذلك اعتبروا مرتكب الكبيرة كافراً<sup>(٣)</sup>، وعلى الصعيد السياسي أكدوا على عدم أحقية قبيلة قريش في توارث الخلافة وجوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش، ولهم رأى في اختيار الخليفة من بين سائر الناس، يستوي فيه أن يكون عبداً أو حراً، أو نبطياً أو قرشياً<sup>(٤)</sup>.

تأرجحت حركة بني حنيفة الخارجية طوال تاريخها الذي استمر ما يقرب من أربعة عشر عاماً بين القوة والضعف، فقد أخذت حركتها في التصاعد والنمو في الفترة من ٦٤ - ٧٣ هـ، إلا أنها تعرضت لهزة عنيفة سنة ٦٦ هـ / ٦٨٤م عندما تمكن جيش الدولة الأموية من هزيمتها في موقعة سلبرى بين (اليمامة والبصرة)، ولكن الخوارج تمكنوا من

(١) كان الأزدي يرون تولية مسعود بن عمرو وبنو تميم يرون تولية الأحنف بن قيس التميمي، الطبري . تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٥١٣ وما بعدها .

(٢) ابن الأثير . الكامل، ج ٣، ص ٤٧٥، ضياء الرئيس . أعلام العرب، ص ٢٠٥ .

(٣) رضا الدجيلي. فرقة الأزارقة، جامعة بغداد، ص ١٦٠ .

(٤) الشهرستاني . الملل والنحل - لبنان : دار المعرفة، ج ١، ص ١٢٢ .

استعادة قوتهم سنة ٧٢ هـ / ٦٩٢ م<sup>(١)</sup>، وعلى ذلك يمكن تقسيم التطور لفرقة الخوارج الأزارقة إلى ثلاث مراحل :

**المرحلة الأولى :** بدأت عقب انسحابهم من معسكر عبد الله بن الزبير وعودتهم إلى البصرة واستمرت حتى سنة ٧١ هـ / ٦٩٠ م وهي السنة التي بايع فيها الخوارج الأزارقة لخامس الزعماء قطري بن الفجاءة<sup>(٢)</sup> .

استمرت الرئاسة لبني حنيفة إلى أن قتل نافع بن الأزرق الحنفي في معركة دولا ب سنة ٦٥ هـ / ٦٨٥ م، سيطر خلالها على منطقة الأهواز وروع أهل البصرة، ولقد حاولوا التصدي للخوارج غير أنهم فشلوا لعدم اتحادهم تحت قيادة واحدة، فاضطروا إلى مراسلة عبد الله ابن الزبير والاستنجاد به، فتولى التخطيط لمقاومة الخوارج، فكلف عبد الله بن الحارث عامله الجديد على البصرة<sup>(٣)</sup>، بالخروج لمحاربة الخوارج، فأخرج الرجل جيشاً انتظم فيه أهل البصرة على مختلف قبائلهم يقوده مسلم بن عبيس<sup>(٤)</sup>، عدته عشرة آلاف رجل وهذا يؤكد رغبة الناس في الخروج لكسر الحصار الاقتصادي الذي ضربه الأزارقة على بلدهم، في حين لم يتجاوز عدد الخوارج ستمائة رجل<sup>(٥)</sup>، وأخذ جيش البصرة يتقدم في منطقة

(١) رضا الدجيلي . فرقة الأزارقة، ص ٩١ .

(٢) البلاذري. ويذكر أنه لقب بأمير المؤمنين، وهذا غير صحيح؛ لأن الذي لقب بهذا اللقب هو نجدة بن عامر الحنفي. أنساب الأشراف، ج ١١ نشر WAHLWARDT، ١٨٨٢م، ص ١٢٢، وكان قطري بن الفجاءة شجاعاً مشهوراً من قبيلة بني تميم وكان شاعراً ومن شعره :

لعمرك إني في الحياة لزاهد وفي العيش مالم ألق أم حكيم  
من الخفريات البيض لم ير مثلها شفاء لذي بث ولا لسقيم  
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا تبيع من الكفار كل حريم  
رأت فتية باعوا الإله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم

الشيخ الخضري. تاريخ الأمم الإسلامية، ج ١ - بيروت : المكتبة العصرية، ٢٠٠٥م، ص ٢٤٢ .

(٣) هو عبد الله بن الحارث بن ربيعة (القباع) بعد أن عزل عبد الله بن الحارث (به)، ابن كثير . البداية والنهاية - ١٠ ط ١ - دار الفكر العربي، ج ٨، ص ٢٨٢ .

(٤) ذكره ابن حزم أنه مسلم بن عيسى بن كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، بينما ذكره المصعب الزبيري بأنه مسلم ابن عبيس. المصعب الزبيري . كتاب نسب قريش، طبعة دار المعارف، ج ٥، ص ١٤٧ . ابن حزم . الجمهرة، ج ١، ص ٧٥ .

(٥) البلاذري . أنساب الأشراف ، ص ٨٦ .

الأهواز والأزارقة يتراجعون حتى انحازوا إلى قرية تسمى دولاب<sup>(١)</sup>، والتقى الفريقان في معركة شرسة في جمادى الآخرة سنة ٦٥ هـ / ٦٨٥ م، أبدى فيها الخوارج من بني حنيفة ضروباً من البطولة، وصمدوا أمام جيش البصرة على الرغم من الفرق الشاسع في العدد والعدة، وانتهت المعركة بمقتل، نافع بن الأزرق، ومسلم بن عبيس<sup>(٢)</sup>.

بمقتل نافع بن الأزرق فقدت بنو حنيفة قيادة الأزارقة، وانتقلت القيادة إلى بني تميم حيث تولاهما عبد الله بن الماحوز الذي أعطى وجوده دفعة قوية للخوارج واستمروا على قوتهم إلى أن قتل عبد الله، فولى الخوارج أخوه عبيد الله بن الماحوز، وما زالت فيهم قوة على الرغم من تفشي القتل بينهم حتى أنه لم يتبق منهم سوى ربع العدد، ومع ذلك استطاع ابن الماحوز مطاردة جيش الدولة، وظل مسيطراً على الأهواز ثلاثة أشهر<sup>(٣)</sup>، بعد انتهاء موقعة دولاب لصالح الخوارج، وانضم إليه بعض أهل البصرة إعجاباً بشجاعتهم حتى أصبح وجودهم يهدد البصرة من جديد<sup>(٤)</sup>.

أفزع انتصار الخوارج أهل البصرة خاصة بني تميم والأزد، وقد يرجع انتصارهم في معركة دولاب إلى المدد الذي أرسله خوارج اليمامة<sup>(٥)</sup>، وبذلك توحد خوارج بني حنيفة ضد أهل البصرة وحقت انتصاراً جعلهم يسارعون بالاستتجاد بابن الزبير، فوجه إليهم المهلب بن أبي صفرة بعد أن صرفه عن ولاية خراسان<sup>(٦)</sup>، ويبدو أن أزد البصرة كان لهم دور في اختياره؛ لأنه من الأزد، وقد تمكن هذا الرجل من إيقاع الهزيمة بالأزارقة في موقعتي سلى وسلبري في شوال سنة ٦٦ / ٦٨٤ م، وأزال قبضتهم عن الأهواز واضطروهم إلى الخروج إلى بلاد فارس، كما انتهت هذه الموقعة بمقتل عبيد الله بن الماحوز بعد ستة

(١) دولاب : قرية في إقليم الأهواز بينها وبين عاصمة الأهواز اثنا عشر ميلاً، ياقوت . معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٨٥ .

(٢) المبرد . الكامل، ج ٢، ص ٢١٥، وصف الطبري المعركة سنة ٦٥ هـ وهو أهم من تحدث عنها بقوله : (وفي هذه السنة اشتدت شوكة الخوارج في البصرة وقتل فيها نافع بن الأزرق). تاريخ الأمم والملوك - بيروت : دار الكتب العلمية،

١٤٢٤ هـ، ج ٢، ص ٤٢٤ .

(٣) البلاذري . أنساب، ج ١١ ص ٨٧ .

(٤) يذكر ابن الأعمش الكوفي، أن عدد من انضم من أهل البصرة إلى الخوارج الأزارقة كان يزيد على عشرين ألفاً وهؤلاء شك رقم مبالغ فيه... الفتوح، ج ١، ص ١٣٥ .

(٥) البلاذري . المصدر السابق، ج ١١، ص ٢٣١ .

(٦) الطبري . تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٦١٥-٦١٦ .



عشر شهراً من امرته للخوارج، ووقع اختياريهم على الزبير بن علي بن الماحوز<sup>(١)</sup> تماسك الخوارج على الرغم من الضربات التي تلاحقت عليهم، فقد تنقل بهم الزبير بن الماحوز من كرمان ببلاد فارس إلى إقليم أصبهان لبعده عن البصرة، إلا أن واليه حارثة بن بدر الغداني تصدى لهم وقتل زعيمهم الزبير سنة ٦٨ هـ / ٦٨٦ م فألّت الزعامة إلى قطري بن الفجاءة، وعادوا إلى الأهواز مرة أخرى، وعاد المهلب إلى حريهم<sup>(٢)</sup>.

**المرحلة الثانية :** وتتميز هذه المرحلة بأن قطري بن الفجاءة اتبع أسلوباً عسكرياً غير الذي سار عليه من سبقه، يعتمد على سرعة التنقل، وضرب الأعداء بشدة وعنف، وجباية الأموال، والانسحاب السريع، ويؤكد ذلك ما قاله عتاب بن ورقاء الرياحي عامل أصبهان (أن هؤلاء القوم ركبوا بنات شجاع، وقادوا بنات سهال، ونزلوا اليوم أرضاً وغداً أخرى<sup>(٣)</sup>). في إطار السياسة التي اتبعها قطري قرر الانسحاب من أصبهان وأقبل إلى الأهواز، فعاد الخطر يدق أبواب البصرة، وهرع أهلها إلى مصعب بن الزبير الذي أعاد المهلب مرة أخرى وانتَهز قطري الحرب الدائرة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير وانتقل بمن معه من الخوارج إلى كرمان للاستعداد، وهناك انضم إليه جموع كثيرة من العرب و الموالي<sup>(٤)</sup>، وتستغرق هذه المرحلة النزاع بين الخوارج والخلافة الأموية من سنة ٧١ هـ / ٦٩٠ م، وهي نفس السنة التي انتقل فيها الحكم في العراق إلى الخليفة عبد الملك ابن مروان بعد مقتل مصعب بن الزبير<sup>(٥)</sup>، وحتى سنة ٧٢ هـ / ٦٩٢ م التي تم فيها القضاء على حركة عبد الله بن الزبير<sup>(٦)</sup>.

(١) البلاذري . المصدر السابق، ج ١١، ص ١٠٥ .

(٢) المبرد . الكامل في اللغة، ج ٢، ص ٤٢٧ .

(٣) ابن الأثير . الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٠٤ .

(٤) الطبري . تاريخ الطبري، ج ٦، ص ١٢٥-١٢٧ .

(٥) المبرد . الكامل، ج ٢، ص ٢٥٢ . 22 . op . cit , Robenson ، وفي مصرع مصعب يقول عبد الله بن قيس:

لقد أورت المصريين عاراً وذلة قتيل بدير الجاثليق مقيم

فما صبرت في الحرب بكر بن وائل ولا ثبتت عند اللقاء تميم

الدينوري . الأخبار الطوال، ص ٣١٣ .

(٦) أبو حنيفة الدينوري . الأخبار الطوال - القاهرة، ١٩٦١ م، ص ٢١١ ، المسعودي . مروج الذهب ومعادن الجوهر -

القاهرة، ١٩٥٨ م، ص ١٠٩ ، ابن قتيبة . كتاب المعارف - القاهرة، ١٣٠٠ هـ، ص ٢١٧ .

وقد استغرق الأمر حوالي ثمانية أشهر حتى دخلت سنة ٧٢ هـ / ٦٩١ م<sup>(١)</sup>، والتقى المهلب بالأزارقة في مدينة سولاف<sup>(٢)</sup>، وصلت الأخبار بمقتل مصعب بن الزبير وتولية خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد البصرة، وقد أعطى هذا الأمر فرصة للخوارج من بني حنيفة وغيرها من القبائل لإعادة التجمع، فقد خرج لحريهم ومعه عبد الرحمن بن الأشعث في جيش كبير حقق الخوارج الأزارقة انتصاراً ساحقاً عليه وحرقوا سفنه<sup>(٣)</sup>، وقد اجتمع للخوارج جموع غفيرة واستقروا في دار بجرد في إقليم اصطخر، ويبدو أن معظم هذه الجموع كانوا من الأعاجم، والعبيد أصحاب المهن والحرف الذين وجدوا فرصة في المساواة الاجتماعية وتحسين أوضاعهم الاقتصادية، وذلك لأن الخوارج كانوا يستولون على موارد وخراج البلاد التي يسيطرون عليها مما أصاب أهلها بالمجاعات<sup>(٤)</sup>، وهذا يؤكد تداخل العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في حركة الخوارج بعد ما كان الهدف الأساس لهم تصحيح مسار الدين<sup>(٥)</sup>، هذا وقد أحدثت الفوارق الاجتماعية أثراً سيئاً بين الأغنياء والفقراء في مجتمع الأزارقة<sup>(٦)</sup>.

ذكرنا أن الخوارج الأزارقة قد انضم إليهم من الموالي والعبيد من سكان البلاد التي سيطروا عليها حتى أصبحوا أغلبية، هذا بخلاف من انضم إليهم من العرب من قبائل طيئ والأزد، وتميم، وبني يشكر، وشيبان، ومراد، وهمدان وغيرهم<sup>(٧)</sup>، حتى أصبحوا خليطاً من القبائل، وأصبحت قبيلة بني حنيفة جزءاً من حركة الخوارج الأزارقة بعد أن كانت هي أساس الحركة كما أسلفنا وكانت نتيجة انتصار الأزارقة على جيش خالد بن

(١) فلهاوزن . الخوارج والشيعة، ص ٨٢ .

(٢) سولاف : قرية غرب دجيل من أرض خوزستان قرب منادر الكبرى، ياقوت . معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٨٥ .

(٣) ابن الأعمش . الفتوح، ج ٢، ص ٤٢٨ .

(٤) أورد الطبري قصيدة لكعب الأشقر من الأزد يشكو لابن أبي صفرة :

فاخبر أخاً أوهى الفقر قوته      لعله بعد وهن العظم يتجبر

تاريخ الطبري، ج ٦، ص ١٢٦ .

(٥) الأشعري . مقالات الإسلاميين، ص ١٧٠ .

(٦) يذكر الطبري أن الخوارج أسروا امرأة عبد العزيز أخو خالد بن عبد الله وأجروا عليها مزاذاً، فقومها رجل منهم بمئة

ألف درهم، فقتله خارجي آخر، الطبري . تاريخ، ج ٦، ص ١٩٦ .

(٧) رضا الدجيلي . فرقة الأزارقة، ص ١٨٠ وما بعدها .

عبد الله بن أسيد أنهم فرضوا سيطرتهم على منطقة الأهواز وأقبلوا يريدون البصرة، وعزل عبد الملك بن مروان خالداً وولى أخاه بشر بن مروان أمر العراق<sup>(١)</sup>، وكتب إليه أن يقر المهلب على حرب الأزارقة<sup>(٢)</sup>، غير أن بشراً كان يكره المهلب فلم يمكنه من الانفراد بقيادة الجيش فأمره بعبد الرحمن بن مخنف وأمره أن يخالف أوامر المهلب، وعلى الرغم من ذلك استطاع تحرير رامهرمز<sup>(٣)</sup>، وبلغ الجيش نبأ وفاة بشر بن مروان فتسلل أهل الكوفة، وأهل البصرة إلى بلادهم، ولم يستغل الأزارقة الموقف لصالحهم .

**المرحلة الثالثة : من ٧٥ - ٧٨ هـ / ٦٩٤ - ٦٩٧ م :** تبدأ هذه المرحلة بتولية الحجاج بن يوسف الثقفي أمر العراق بعد وفاة بشر بن مروان<sup>(٤)</sup>، وانتهت بنهاية فرقة الأزارقة سنة ٧٨ هـ / ٦٩٧ م، والواقع أن الخليفة عبد الملك بن مروان نظر إلى أمر العراق وما هو عليه من خطر من جراء ما أحدثته ثورات خوارج بني حنيفة وحلفائهم، فأمر بنقل الحجاج ابن يوسف إلى العراق بعد أن نجح في القضاء على ثورة عبد الله بن الزبير، حيث لم يعد هناك مبرر لبقائه في الحجاز .

وهذا العمل يعكس النظرة الثاقبة للخليفة، فالعراق في حاجة إلى والٍ قوي يحقق طموحات الخلافة في القضاء على المعارضة .

دب الأمان في أوصال أهل البصرة بتولية الحجاج أمر العراق، ونهضوا معه حتى أنه عندما رأى كثرتهم في جيشه قال : اليوم قوتل هذا العدو<sup>(٥)</sup>، وحدث أول لقاء بين الأزارقة وجيش الدولة في رامهرمز<sup>(٦)</sup>، في رمضان سنة ٧٥ هـ / ٦٩٤ م، وانتهى بهزيمة

---

(١) ابن الأعمش . الفتوح، ص ٤٣٧، ولى خالد بن عبد الله أخاه عبد العزيز لحرب الخوارج ورفض تولية المهلب مما أدى إلى هزيمة جيش الخلافة أمام الخوارج الأزارقة مما جعل الخليفة عبد الملك يعزله ويولي أخاه بشر بن مروان بدلاً منه، وطلب منه تكليف المهلب بحرب الخوارج، الخصري . تاريخ الأمم، ج ١، ص ٣٤٤ .

(٢) ابن الجوزي . المنتظم، ج ٦، ص ١٤٣ .

(٣) رامهرمز : مدينة بنوحي خوزستان، ياقوت . معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٨٦ .

(٤) الطبري . تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٠٢ .

(٥) المبرد . الكامل في اللغة، ج ٢، ص ٢٦٧ .

(٦) ابن الأثير . الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٤٨، ولعب الأشعري قصيدة طويلة يذكر يوم رامهرمز :

يا حفص إني عداني عنكم السفر      وقد سهرت فأودى نومي السهر

عبد الرحمن ابن مخنف وقتله، بينما انحاز المهلب ونجا بمن معه، فولى الحجاج عتاب ابن ورقاء الرياحي خلفاً لابن مخنف على أن يعمل بمشورة المهلب<sup>(١)</sup>، ووقع خلاف بين القائدين لانفراد عتاب بالعمل دون استشارة المهلب، وكاد يقع بذلك خلاف بين تميم رهط عتاب والأزد رهط المهلب<sup>(٢)</sup>، ولو حدث ذلك لوجد الأزارقة الفرصة سانحة للظهور، إلا أن المهلب احتوى النزاع، وطلب عتاب إعفاءه من المهمة فأعفاه الحجاج وولى المغيرة ابن المهلب<sup>(٣)</sup>، وبذلك أصبح المهلب وأبناءؤه أصحاب الامتياز في قتال الخوارج من بني حنيفة وحلفائها ابتداء من مستهل سنة ٧٧هـ / ٦٦٩م<sup>(٤)</sup>.

داومت الخلافة على حرب الخوارج طوال سنوات ثلاث بعد ولاية الحجاج، السنتين الأولى والثانية كان ميدان القتال في بلاد فارس، ثم انتقل في السنة الثالثة إلى بلاد كرمان فقد حاصره في مدينة سابور<sup>(٥)</sup>، التي اتخذوها عاصمة لهم لخصوبة، تربتها وكثرة محاصيلها، واستمر الحصار أكثر من عام ونصف حتى أن الحجاج كتب إليه يأمره بالإسراع في حربهم، ولأن المهلب كان يرى في المطاولة تحقيق هدف من ثلاثة، إما يموت قطري أو تحدث فرقة؛ لأنه يعلم مدى افتقارهم إلى الوحدة فيما بينهم<sup>(٦)</sup> أو تصيبهم مجاعة<sup>(٧)</sup>.

شدد المهلب الحصار على خوارج بني حنيفة وحلفائهم حتى اضطروهم إلى الخروج من سابور ونزلوا إصطخر في شهر صفر سنة ٧٧هـ / ٦٩٦م<sup>(٨)</sup>، وحاصره فيها شهراً جرت خلاله معارك بين الطرفين، وبرز خلالها عطية بن الأسود اليمامي الحنفي<sup>(٩)</sup>

الخضري: تاريخ الأمم، ج ١، ص ٣٤٦.

(١) الطبري. تاريخ الطبري، ج ٦، ص ٢١٢.

(٢) الطبري: المصدر السابق والصفحة.

(٣) يذكر المبرد أن الحجاج وجه عتاباً لحرب الخوارج الصفرية في بلاد الجزيرة. الكامل في اللغة، ج ٢، ص ٢٧٦.

(٤) فلهاوزن. الخوارج والشيعة، ص ٨٧.

(٥) سابور: ولاية بين خوزستان وأصفهان، ياقوت. معجم، ج ٣، ص ١٦٧.

(6) Lindale, The Islamic middle East p, 88.

(٧) ابن الأعمش. الفتوح، ج ٢، ص ٤٥٥.

(٨) إصطخر: بلدة من أحسن البلاد في فارس، ياقوت. معجم، ج ١، ص ٢١١.

(٩) الزبيدي. تاج العروس من جواهر القاموس - بيروت: دار مكتبة الحياة، باب عطا.

الذي جاء ببني حنيفة العطوية من سجستان، وانضم إلى بني جلدته من الأزارقة، فأخرج المهلب ابنه يزيد وكأن النزاع انحصر بين بني حنيفة والأزد، وتصارع ابن الأسود مع يزيد بن المهلب، واختلط القوم في القتال فانهزمت الأزارقة<sup>(١)</sup>، وانحاز قطري إلى المدينة البيضاء<sup>(٢)</sup>، واستولى المهلب على خراج المناطق التي فتحها وظل المهلب في مطاردة خوارج بني حنيفة إلى أن اضطرهم إلى مدينة جيرفت<sup>(٣)</sup>، وهي المدينة التي شهدت نهايتهم .

سبب توالي الهزائم وطول الحصار نوعاً من الملل بين الخوارج الأزارقة، ودب الخلاف بينهم والمعروف أن الفتنة في مجتمعهم كانت تبدأ بالجدل حول مسائل فقهية، وطرح الآراء، وعدم اقتناع بعضهم بالآراء المطروحة فيحدث الانقسام، فقد اتهم بعضهم عبدة ابن هلال اليشكري من أبرز زعمائهم بتهمة الزنا، وفشل قطري في تبرئته .

واتهم البعض الآخر أحد أتباع قطري بالثراء، فاتهمهم قطري بالرجوع إلى الكفر، فانقسم الأزارقة وانفصل عبد ربه الصغير بالعجم والموالي وعددهم ثمانية آلاف رجل<sup>(٤)</sup>، وتحارب، الأزارقة في جيرفت في إقليم كرمان، اضطر فيها قطري إلى الخروج عن البلدة بعد أن فقد الخوارج ألفي رجل، ووصل إلى الري ثم طبرستان، ثم انفصل عنه عبدة بن هلال ومضى بأصحابه إلى مدينة قومن، وفي الوقت نفسه انفصل عطية الأسود الحنفي ببني حنيفة عن عبد ربه الكبير، وآل أمر الخوارج بعد هزيمتهم على يد المهلب إلى مدينة جيرفت، فحاصروهم المهلب وقضى على أربعة آلاف رجل واستأمن بعضهم وهرب البعض الآخر<sup>(٥)</sup>، وانتهى أمرهم، وعلى الرغم من حروبهم الكثيرة، لم يؤسسوا دولة، وعاشوا تحت خلافة غير خارجية<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن الأعمش الكوفي . الفتوح، ج ٢، ص ٤٧٠ وما بعدها .

(٢) المدينة البيضاء : أكبر مدينة في إقليم إصطخر ببلاد فارس، ياقوت . معجم، ج ١، ص ٥٢٩-٥٣٠ .

(٣) جيرفت : مدينة كبيرة من أعيان مدن كرمان كثيرة الخيرات، ياقوت . معجم، ج ٢، ص ١٩٨ .

(٤) المبرد . الكامل في اللغة، ج ٢، ص ٢٨٤ وما بعدها .

(٥) ابن الأعمش . الفتوح، ج ٢، ص ٢٨٥ وما بعدها .

(6) Stewart p. J : unfolding islam, 1964, p. 138.

## موقف بني حنيفة في بلاد اليمامة من الخلافة الأموية :

تزعم حركة بني حنيفة في بلاد اليمامة نجدة بن عامر الحنفي<sup>(١)</sup>، وهو صاحب اقتراح انضمام الخوارج إلى عبد الله بن الزبير سنة ٦٥هـ، مثلما كان نافع بن الأزرق هو صاحب قرار الانفصال عنه<sup>(٢)</sup>، وعاد نجدة مع نافع إلى البصرة ضمن ثلاثمائة وخمسين رجلاً من الخوارج<sup>(٣)</sup> بعد خلافتهم مع ابن الزبير، ولم يستمر نجدة في البصرة بعدما حدث خلاف فقهي بينه وبين نافع انسحب على أثره وعاد إلى اليمامة الموطن الأصلي لبني حنيفة، وكان قد سبقه إليها كثرة من بني حنيفة، وجماعة من بكر بن وائل، وقد رأى البعض أن السبب في انفصال نجدة يرجع إلى طغيان شخصية نافع حتى أنه توارى في ظله<sup>(٤)</sup>.

ونحن نرى أنه كان ثمة اتفاق بين الرجلين على توسيع دائرة الخلاف بين بني حنيفة والخلافة، بدليل أن نافعاً سيطر على بلاد فارس وطبرستان، بينما سيطر نجدة على بلاد اليمامة وعمان والبحرين وحضرموت ولم تحدث بينهم نزاعات<sup>(٥)</sup>.

كانت جماعة من بني حنيفة قد سبقت نجدة إلى بلاد اليمامة، واختارت أبا طالتوت - سالم بن مطر - مولى بني حنيفة قائداً لهم إلى أن يجدوا خيراً منه وقد رضي أبو طالتوت بذلك . لما انفصل نجدة عن نافع بن الأزرق ومضى إلى منطقة الخضارم<sup>(٦)</sup>،

(١) يذكر ابن حزم أن اسمه نجدة بن عويمر بن الوليد بن عبد الله بن يسار، من بني عدي بن حنيفة. جمهرة أنساب العرب، ج ٢، ص ٣١٠.

(٢) يذكر ابن الأثير: وقدم على ابن الزبير نجدة بن عامر الحنفي في ناس من الخوارج. الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٦٣.

(٣) البلاذري. أنساب الأشراف، ج ١١، ص ٨١.

(٤) فلهوزن. الخوارج والشيعة، ص ٦٩.

(٥) اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٧٣.

(٦) مفردتها الخضرمة (وهي قرب بلدة الدلم في الخرج اليوم) والمعروف أن الخضارم في نجد ويذكر ياقوت أنها واد بأرض اليمامة، ياقوت. معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٦٧، والخرج تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من (الرياض) وهي تتبع إمارة الرياض والخرج بفتح الخاء وإسكان الراء فجيم، ووادي حنيفة يمتد من الشمال إلى الجنوب أي من شمال الرياض، ويمر بها ويتجه إلى الخرج نحو الجنوب الشرقي وقال فيه الشيخ ابن خميس من شعره :

لها السيف من وادي حنيفة مصلت تنأغيه أبطال حماة بواتع

ابن خميس. معجم اليمامة، ج ١، ص ٣٨٦.

وكانت لبنى حنيفة واستولى عليها الخليفة معاوية بن أبي سفيان، فاستردها نجدة، وقسم ما فيها من الأموال والرفيق على أصحابه فكثرت جمعه، ورفع راية العصيان للخلافة، فاعترض قافلة قادمة من البحرين تحمل أموالاً لابن الزبير وقسم ما فيها على أتباعه، فزاد إعجابهم به ورأوا أنه أولى بالمبايعة من أبي طالوت فبايعوه<sup>(١)</sup>. سار نجدة بأتباعه الذين أطلق عليهم اسم النجدات إلى اليمامة وقد بلغ عددهم ثلاثة آلاف رجل، وعقد العزم على الانطلاق مستغلاً النزاع بين الخليفة عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير، فاتجه إلى جنوب شرق الجزيرة العربية، واستخلف باليمامة رجلاً من بني حنيفة يدعى عمارة الطويل، وسار إلى البحرين سنة ٦٧هـ فاستولى عليها وانضمت إليه قبيلة عبد القيس<sup>(٢)</sup>، وهزم جيشاً أرسله حمزة ابن الزبير<sup>(٣)</sup>. كما أرسل جيشاً يقوده عطية بن الأسود الحنفي استولى على بلاد عمان، وكان في استطاعة نجدة بسط نفوذه على كل الجزيرة العربية<sup>(٤)</sup>، حيث كان من الصعب أن تتجمع قوة عسكرية لإيقاف نشاطه.

لم يكن نجدة أقل من نافع بن الأزرق وإن كان أقل خطراً منه، فقد كان من أصحاب عبد الله بن عمر بن الخطاب ويسأله عن أعمال الرسول ﷺ ومسائل في الإسلام<sup>(٥)</sup>، وإن كان نافع قد رفض التفاهم مع الخلافة وتعامل معها بالسيف، فقد حرص على عدم مهاجمة مكة والمدينة، ولم يمنع الميرة عنها استجابة لنداء الصحابي عبد الله بن العباس<sup>(٦)</sup>، كما أنه حج في موسم ٦٨هـ والتقى بعبد الله بن الزبير، ولم يحدث بينهما صدام، وتصالحا على أن يكف بعضهم عن بعض<sup>(٧)</sup>، وكاد يصل إلى اتفاق مع الخليفة

(١) ابن الأثير . الكامل، ج ٤، ص ٢٠ .

(٢) البلاذري . أنساب الأشراف، ج ١١، ص ١٢١ .

(٣) كان عبد الله بن الزبير قد عزل أخاه مصعباً على الرغم من كفايته ونجاحه في القضاء على فتنة المختار بن أبي عبيد

الثقفي وقتله. ابن الجوزي . المنتظم، ج ٦، ص ٦٦ .

(٤) فلهوذن . الخوارج والشيعية، ص ٧٢ .

(٥) البلاذري . أنساب، ج ١١، ص ١٣٧ .

(٦) ابن الأثير . الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٧) الطبري . تاريخ الطبري، ج ٦، ص ١٢٨ .

عبد الملك بن مروان، وكان الخليفة قد كاتبه في أن يوليه بلاد اليمامة لولا معارضة جماعة من بني حنيفة وانفصالهم عنه<sup>(١)</sup>.

اتسع نطاق حركة خوارج بني حنيفة النجدات وبسطوا سلطانهم على شمال البحرين وأرغموا بني تميم على دفع الخراج، وأخضع نجدة جزءاً من اليمن ودخل صنعاء وأرسل أحد رجاله ويدعى أبا فديك - من ثعلبة بن يربوع - إلى حضرموت فجبى خراجها، هذا بخلاف بلاد عمان التي استولى عليها تلميذه عطية بن الأسود الحنفي، كما أرسل نجدة عمالاً من قبله جمعوا خراج البوادي واستطاع نجدة أن يؤسس دولة مستقرة إلا أنها لم تناسب طبيعة الخوارج في الميل للقتال<sup>(٢)</sup>، وهكذا كان أمر النجدات في تصاعد لولا أن الخلاف دب بين نجدة وأصحابه، وكان الخلاف هو الآفة التي طالما هددت كيان الخوارج كلما زادت قوتهم، والواقع أنهم كانوا لا يتحملون السلطة عليهم لمدة طويلة<sup>(٣)</sup>.

وحينما أراد نجدة التفاهم مع عبد الملك بن مروان، رفض بعض بني حنيفة التصالح مع الخلافة الشرعية، هذا بالإضافة إلى خلافات فقهية أخرى معه<sup>(٤)</sup>، مثل تلك التي حدثت بين قطري بن الفجاءة وأصحابه من الأزارقة، فمضى عطية بن الأسود في لواء من بني حنيفة إلى عمان، وبايع الباقر لأبي فديك، ولما شعر نجدة بالخطر هرب، فألح أبو فديك في طلبه حتى أدركه في إحدى مدن اليمامة وقتله سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م<sup>(٥)</sup>، وتبرأ عطية ابن الأسود وأبو فديك كل واحد منهما من الآخر، وبذلك انقسم خوارج بني حنيفة إلى فرق ثلاث هم النجدات والعطوية والفديكية<sup>(٦)</sup>.

استمر خوارج بني حنيفة على الصراع المسلح ضد الخلافة الشرعية لمدة عام بعد

(١) البلاذري . أنساب، ج ١١، ص ١٢٢، ابن الكثير: البداية والنهاية -٠ بيروت، ج ٨، ص ٦٢ .

(٢) المصدر السابق: ص ١٢٦-١٤٢، ابن حجر العسقلاني . تهذيب التهذيب، ج ٦٠- الهند : دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٦هـ، ص ٤٢٣ .

(3) Lindhalm, op . cit, p . 88.

(٤) عدد الأشعري أسباب الخلاف ومنها مكاتبتة للتفاهم مع الخليفة عبد الملك بن مروان، وأنه عطل حد الخمر، وحكم بالشفاعة، وأعطى مالك بن مسمع الحنفي من الفيئ (الأعطيات)، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ١٧٥- ١٧٦ .

(٥) كان مقتله في مدينة حجر باليمامة، الطبري. تاريخ، ج ٦، ص ١٧٤ .

(٦) الأشعري. المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٦ .



مقتل زعيمهم نجدة بن عامر الحنفي، فقد تحرك أبو فديك نحو البحرين في محاولة لاستعادتها، ونجح في هزيمة جيش أرسله الخليفة عبد الملك بن مروان بقيادة أمية بن عبد الله بن أسيد أخو والي البصرة خالد بن عبد الله، ولم يسكت عبد الملك على هزيمة جيشه، فأعد جيشاً مشتركاً من أهل الكوفة وأهل البصرة بلغ تعدادهم عشرة آلاف تحت قيادة عمر بن عبيد الله بن معمر<sup>(١)</sup>، والتقى بجيش خوارج بني حنيفة في بلاد البحرين، الذين أثبتوا أنهم على مستوى الصراع، وكادوا يفتكون بجيش الدولة، لولا تماسك أهل الكوفة والبصرة الذي مكنهم من محاصرة النجدات في منطقة المشقر<sup>(٢)</sup>، وساعدتهم طبيعة الأرض على التفوق، فقتلوا ستة آلاف وأسروا ثمانمئة من بني حنيفة وبهذا انتهت، فرقة النجدات في اليمامة وبلاد البحرين<sup>(٣)</sup>.

أما الفرع الثاني من بني حنيفة الذي قاده عطية بن الأسود الحنفي، فقد غادر إلى عمان، والمعروف أنه كان قد استولى عليها من قبل، ولكنه لم يستطع السيطرة عليها، فتوجه إلى كرمان من بلاد فارس واجتمع مع أبناء عمومته من الخوارج الأزارقة على قتال جيش الخلافة، وأبلى في الحروب بلاءً حسناً، وظل إلى أن تفرق الأزارقة عن قطري، فانضم إلى عبد ربه الكبير في أوائل سنة ٧٨ هـ / ٦٧٠ م، ولم يلبث أن اختلف معه حول الزعامة وحاول عبد ربه إقناع عطية بن الأسود أن يبايع له ورفض عطية فألح عليه عبد ربه حتى قتله وتفرق أصحابه واستأمنوا لجيش الخليفة عبد الملك بن مروان<sup>(٤)</sup>.

وفي نهاية العهد الأموي حوالي سنة ١٢٦ هـ / ٧٣٤ م كان الوالي على اليمامة من قبل الأمويين هو علي بن المهاجر الكلابي من بني كلاب بن عامر من قيس عيلان، وقد ثار عليه بنو حنيفة ومن معهم من بكر في محاولة لتقليص نفوذ بني كلاب، وقد استغلوا

(١) ابن الأثير . الكامل، ج ٤، ص ١٣٠ .

(٢) المشقر: حصن بالبحرين لقبيلة عبد القيس ضمن حصون لهم، ياقوت . معجم البلدان، ج ٥، ص ١٢٤ .

(٣) الطبري . تاريخ الطبري، ج ٦، ص ١٩٣ .

(٤) ابن خنيس . معجم اليمامة، ج ١، ص ٢٠٢، ويذكر شعر مروان بن أبي حفصة مفتخراً بنصر قومه بقوله :

بذلت نصيحتي لبني كلاب فلم تقبل مشاورتي ونصحي

فدا لبني حنيفة من سواهم فإنهم فوارس كل فتح

ابن خنيس : نفس المرجع والصفحة، heet://www.3nazh.com/vb/showthread.php?t=12464

الضعف الذي طرأ على الدولة الأموية بسبب الخلاف على الحكم بعد موت الخليفة الوليد بن يزيد، وتفصيل هذه الثورة أن أحد رؤساء بني حنيفة واسمه - المهير بن سلمى الحنفي - جاء إلى والي اليمامة علي بن المهاجر فخيره بين التخلي عن منصبه أو أن يفارق البلاد أو يبقى في قصره، فرفض كل ذلك، وعزم على حرب المهير، فجمع له المهير جمعاً من بكر بن وائل وحنيفة ممن كانوا حوله والتقى الجمعان في قاع حجر اليمامة، وعرف اليوم باسم (يوم القاع) وانتصر المهير وبنو حنيفة على بني كلاب، وفر الوالي الأموي بعد هزيمته، وأصبح المهير أميراً على اليمامة، وكون فيها دويلة مستقلة<sup>(١)</sup>.

### الخاتمة :

من أقدم القبائل المتحضرة قبيلة بني حنيفة، حيث استوطنت ضمن قبائل بكر بن وائل فيما بين نجد والبحرين، واستقلت بمنطقة اليمامة، واتخذت حجر اليمامة قاعدة لملكها (الرياض) وحافظت على كيانها السياسي المستقل في مواجهة التكتلات السياسية العربية، ولما ساد الإسلام شبه الجزيرة العربية، وفدت على الرسول ﷺ عام الوفود وأعلنت إسلامها، وبعد ذلك ارتد جزء منها مع مسيلمة الكذاب (سيد من سادات بني حنيفة) حتى كان يقول قائلهم (كاذب ربيعة خير من صادق مضر) وثبت بعض رجال من قبيلة بني حنيفة فلم تجتمع كلها على العداء للخلافة الإسلامية، ففي الوقت الذي قاد مسيلمة الحنفي فريقاً منها وحارب الدولة، أكد فريق آخر مدى الالتزام بالعهد الذي قطعه مع رسول الله ﷺ، فهذا ثمامة بن أثال الحنفي الذي كان ضمن وفد بني حنيفة يثبث على إسلامه، ولما خرج مسيلمة ودعاه للانضمام إليه رفض، وخير أهله بين البقاء معه أو الانضمام إلى المرتدين، فاخترأوا البقاء معه.

وقاد ثمامة الجناح المعتدل من بني حنيفة، ولما استفحل أمر الردة أرسل ثمامة إلى الخليفة أبي بكر يعلمه بأمر مسيلمة، ويؤكد على ثبات مبدئه، ثم خرج ثمامة برجاله وانضم إلى الجيش الذي قاده العلاء بن الحضرمي لحرب المرتدين في منطقة البحرين. وقال : (إنه لا يجتمع نبيان بأمر واحد وأن محمداً رسول الله لا نبي بعده ولا نبي يشرك

(١) ابن الأعمش . الفتوح، ج ٢، ص ٤٧١ وما بعدها، البلاذري . أنساب الأشراف، ج ١١، ص ١٤٨ .

معه)، وأوضحت الدراسة أثر تحضر بني حنيفة في ثرواتها ووفرة إنتاجها وغلالها التي كانت تغزو أسواق الجزيرة وغيرها .

وكانت تمون الحجاز بالذات بطيب الإنتاج ووفرته، وكانت تهدده بقطع الميرة وقد ذكرنا قصة ثمامة بن أثال وكيف منع الميرة عن قريش ولم تعد إليهم إلا بأمر الرسول ﷺ وكانت حجر قاعدتها، لها النفوذ والعدد والعدة، وبسطوا نفوذهم على اليمامة، وعمروها وأوجدوا فيها حضارة وعمراناً، وتغلبت دولتهم اسماً وشهرة على من سواهم ممن سكن هذه المنطقة وعمرها .

كما أثبتت الدراسة أن زعماءها كانوا على قدر من العلم والفقه فاتفقت لهم بذلك الثقافة العقلية، وهم أحرار كرام شم الأنوف وكانت (حجر اليمامة) سوقاً من أكبر وأعظم الأسواق في جزيرة العرب، يفدون إليها من سائر أنحاء الجزيرة، يحملون إنتاجهم ومصنوعاتهم وتحفهم، ويعدون لها العدة لمفاخرتهم ومكاثرتهم ومنافرتهم، يلتقي فيها الشعراء، وتقوم سوق الخطابة ومساجلات الأدب وإقرار فصيح اللغة، وتبدأ هذه السوق من اليوم العاشر من شهر المحرم، وتستمر إلى نهايته ويفد إليها الوافدون من اليمن والخليج العربي والعراق في قوافل محملة بما لديهم وترجع محملة بما يبتاعون من هذه الأسواق، وكان يجري بهذا السوق ما يجري في الأسواق الكبرى مثل سوق عكاظ، مما أدى إلى تنمية مداركهم وثقافتهم، كذلك دعتهم ضروريات الحياة التي قوامها الفلاحة والرعي إلى طلب متسع من الرزق والسعي في الأرض على خلاف أهل الحضر الذين يركنون إلى الدعة ويطلبون كماليات الحياة، وكان بنو حنيفة يتميزون بالقوة، فهم لا يثقون في غيرهم، ودائماً يحملون السلاح، واثقين بأنفسهم، وقد صار لهم البأس خلقاً والشجاعة سجية يرجعون إليها إذا دعاهم داع أو استنفرهم صارخ، ومن قوة بني حنيفة، ومنعتهم أنهم كانوا يجيرون على الملوك وينفذون رغباتهم .

وخلاصة القول إنه بالرغم من هذا النمط القوي الذي تمثل في بني حنيفة، لم تلجأ إلى سياسة العداء وكثرة الحروب مع القبائل المجاورة إلا عند الضرورة بعكس أخواتها من القبائل ربعة مع بني تميم وغيرهم الذين كانوا طرفاً في معظم الحروب التي حدثت في شبه جزيرة العرب وهذا يؤكد ما تميزت به من صفات كريمة فاقت بها مثيالاتها .

## المصادر والمراجع

- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ). أسد الغابة في معرفة الصحابة ٠- لبنان : دار إحياء التراث العربي (د.ت) . الكامل في التاريخ؛ تحقيق عبد الله القاضي ٠- بيروت : دار الكتب العلمية (د.ت).
- الأشعري، علي بن إسماعيل (ت ٣٢٠هـ) . مقالات الإسلاميين؛ تحقيق محمد محيي الدين إبراهيم، النهضة المصرية ١٩٦٩م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ). صحيح البخاري، ج ٣، ٤ - القاهرة : دار التراث العربي (د.ت) .
- البلاذري، يحيى بن جابر، (ت ٢٨٥هـ). أنساب الأشراف، ج ١١ نشر ١٨٣٢م greensward, Walworth.
- فتوح البلدان ٠- بيروت : مكتبة الهلال، ١٩٨٣م.
- أرنولد . الدعوة إلى الإسلام؛ ترجمة حسن إبراهيم حسن ٠- القاهرة (د.ت).
- الأزرقى . أخبار مكة ٠- القاهرة (د.ت).
- ابن أعثم، أحمد الكوفي . الفتوح؛ تحقيق سهيل زكار ٠- بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٢م.
- جورجي زيدان . تاريخ العرب قبل الإسلام؛ مراجعة حسين مؤنس، جواد علي، طبعة دار الهلال . تاريخ العرب قبل الإسلام المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٤ م .
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) . المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ٠- بيروت : دار الكتب العلمية (د.ت) .
- ابن حجر العسقلاني. تهذيب التهذيب، ج ٦ - الهند : دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٦هـ.
- ابن الحبيب، أبو جعفر محمد (ت ٢٤٥هـ). مختلف القبائل ومؤلفاتها؛ تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني سنة ١٩٨٠م.
- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ) . جمهرة أنساب العرب؛ تحقيق عبد السلام محمد هارون - مصر : دار المعارف، ١٣٨٢هـ.
- حسن إبراهيم حسن . تاريخ الإسلام السياسي ٠- القاهرة (د.ت).
- حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن . النظم الإسلامية ٠- القاهرة (د.ت).
- حمد الجاسر . مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ٠- الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة، ١٣٨٦هـ.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد . العبر وديوان المبتدأ والخبر؛ تحقيق شكيب أرسلان ٠- مصر: المطبعة الرحمانية، ١٩٣٦م . مقدمة ابن خلدون، طبعة الشعب .
- ابن خلكان . وفيات الأعيان ٠- مصر (د.ت) .
- عبد الله محمد ابن خميس . معجم اليمامة، ج ١ ٠- الرياض، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م،
- ابن الخياط، خليفة (ت ٢١٠هـ) . تاريخ خليفة؛ تحقيق أكرم ضياء العمري، ج ١ ٠- بيروت : دار طيبة العلمية، ١٩٦٤م.
- الدجيلي، محمد رضا . فرقة الأزارقة ٠- النجف، بغداد : مطبعة النعمان، ١٩٧٣م.
- السويدي، محمد أمين . سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ٠- بيروت : دار الكتب العلمية، ج ١، ١٩٦٤م.
- السيوطي . تاريخ الخلفاء ٠- القاهرة (د.ت).
- سيدة إسماعيل الكاشف . الوليد بن عبد الملك ٠- القاهرة، ٢٠٠٥م .
- ضياء الريس . أعلام العرب، القاهرة (د.ت) .
- الطبري، محمد بن جرير (ت ٢١٠ هـ) . تاريخ الرسل والملوك؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٠- مصر: دار المعارف، ١٩٦٤م.
- ابن طبا طبيا . الفخري في الآداب السلطانية ٠- القاهرة، ١٩٢٧م .
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ) . العقد الفريد ٠- بيروت : دار الفكر (د.ت) .
- عمر رضا كحالة . معجم قبائل العرب ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٩١م.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) . الإمامة والسياسة ٠- القاهرة : دار المعارف (د.ت). عيون الاخبار ٠- القاهرة، ١٩٢٥م . المعارف؛ تحقيق ثروت عكاشة ٠- القاهرة : دار المعارف (د.ت).
- الكندي . الولاية والقضاة ٠- بيروت، ١٩٠٨م .
- الماوردي . الأحكام السلطانية ٠- القاهرة، ١٢٩٨م .
- المبرد، أبو العباس محمد . الكامل في اللغة والأدب، ج ١ ٠- بيروت : مكتبة المعارف (د.ت) .
- محمد الصاوي . شرح ديوان جرير ٠- بيروت : دار الأندلس (د.ت) .
- محمد حسن بريغش . ظاهرة الردة في المجتمع الإسلامي ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون . أيام العرب في الجاهلية، مكتبة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦١م.
- محمود إسماعيل عبد الرزاق . الخوارج في بلاد المغرب ٠- الدار البيضاء : دار الثقافة، ١٩٨٠م.

- المسعودي . مروج الذهب ومعادن الجوهر ٠٠ - القاهرة (د.ت).
- المقدسي، مظهر بن طاهر (ت ٥٠٧هـ). البدء والتاريخ ٠٠ - القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية (د.ت).
- نايف محمود معروف. الخوارج في العصر الأموي ٠٠ - بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر (د.ت).
- الواقدي . كتاب الردة ٠٠ - الرياض : دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ .
- ياقوت، عبد الله ياقوت الحموي. معجم البلدان ٠٠ - بيروت : دار صادر، ١٩٨٤م.
- اليعقوبي، محمد بن واضح (ت ٢٨٥هـ). تاريخ اليعقوبي، ج ١، ٢ - بيروت : دار صادر، ١٩٦٠م.
- يوليوس فلهوزن . الخوارج والشيعة: ترجمة عبد الرحمن بدوي ٠٠ - ط ٢ - الكويت : وكالة المطبوعات، ١٩٧٦م.

- Charles landfall : The Islamic Middle East, Cambridge, 1992.
- Francis Robinson : The Islamic World , Cambridge 1996.
- P.J Stewart: Un folding Islam ,London, 1994.
- O' Leary D. lacy: Arabic thought and its place in history London 1939.
- Wilfred Mad Modeling : An Ismaili Hypsography, leaden, 1998.
- heet://www.3nazh.com/vb/showthread.php?t=12464.
- http://forum.sh3bwah.maktoob.com/tl64758.html.